

## 58- تفسير سورة قد سمع (المجادلة) - وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ  
اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ  
أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ  
غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ  
يَتَمَاسًا ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ  
مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا  
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾

نزلت هذه الآيات الكريمات في رجل من الأنصار اشتكته زوجته إلى الله،  
و جادلته إلى رسول الله ﷺ لما حرّمها على نفسه، بعد الصحبة الطويلة،  
و الأولاد،

و كان هو رجلا شيخا كبيرا، فشكت حالها و حاله إلى الله و إلى رسول الله  
ﷺ و كررت ذلك، و أبدت فيه و أعادت.

\*\*\* الصحيح المسند من أسباب النزول

مسند أحمد ط الرسالة

24195 - عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ،

لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تَكْلِمُهُ

وَ أَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ:

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا}

[المجادلة:1] " إِلَى آخِرِ الْآيَةِ

سنن ابن ماجه - [حكم الألباني] صحيح

2063 - عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ:

" تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ،

إِنِّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ،

وَ هِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَ هِيَ تَقُولُ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكَلَ شَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي،

حَتَّى إِذَا كَبُرَتْ سَنِّي، وَانْقَطَعَ وَلَدِي، ظَاهَرَ مِنِّي،

اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ،

فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى نَزَلَ جِبْرَائِيلُ بِهِؤْلَاءِ الْآيَاتِ:

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ}

[المجادلة:1] (□)

فقال تعالى:

(وسمع سمعه) أي يدرك كل صوت.

(ويخفى علي) تريد أنها تشكو سرا حتى يخفى عليها بعضه وأنا حاضرة كلامها.

(ونثرت له ما في بطني) أي أكثرت له الأولاد. تريد أنها كانت تلد الأولاد عنده.

يقال أمة تثور كثيرة الأولاد].

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ

أي: تخاطبكما فيما بينكما،

{تَحَاوَرُكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ}

لجميع الأصوات، في جميع الأوقات، على تفنن الحاجات.

{بَصِيرٌ}

يبصر ديبب النملة السوداء، على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء،

و هذا إخبار عن كمال سمعه و بصره،

و إحاطتهما بالأمور الدقيقة و الجلييلة،

و في ضمن ذلك الإشارة بأن الله تعالى سيزيل شكواها، و يرفع بلواها،

و لهذا ذكر حكمها، و حكم غيرها على وجه العموم، فقال:

الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَّا هُمْ بِأُمَّهَاتِهِمْ إِنَّمَا هُمُ إِلَّا الَّذِينَ وَلَدْنَهُمْ

وَأَنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مَنَّكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ

المظاهرة من الزوجة: أن يقول الرجل لزوجته:

"أنت علي كظهر أمي"

أو غيرها من محارمه،

أو "أنت علي حرام"

و كان المعتاد عندهم في هذا لفظ "الظهر" و لهذا سماه الله "ظهارا" فقال:

**{ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَأَ بِهِمْ مَا تُهِنُّ أُمَّهَاتُهُمْ }**

أي: كيف يتكلمون بهذا الكلام الذي يعلم أنه لا حقيقة له،  
فيشبهون أزواجهم بأمهاتهم اللاتي ولدنهم؟  
و لهذا عظم الله أمره و قبحه، فقال:

**{ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ }**

أي: قولاً شنيعاً،

**{ وَزُورًا }** أي: كذباً.

**{ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ غَفُورٌ }**

عمن صدر منه بعض المخالفات، فتداركها بالتوبة النصوح.

**{ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ }**

**ذَلِكَ تَوْعُظُونَ بِهِ<sup>٤</sup> وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }**

اختلف العلماء في معنى العود،

فقيل: معناه العزم على جماع من ظاهر منها،

و أنه بمجرد عزمه تجب عليه الكفارة المذكورة،

و يدل على هذا، أن الله تعالى ذكر في الكفارة أنها تكون قبل المسيس،

و ذلك إنما يكون بمجرد العزم،

و قيل: معناه حقيقة الوطء، و يدل على ذلك أن الله قال:

**{ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا}**

و الذي قالوا إنما هو الوطاء.

و على كل من القولين

**{ف}** إذا وجد العود، صار كفارة هذا التحريم

**{فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ}**

{ مُؤْمِنَةٌ كَمَا قِيدَتْ فِي آيَةٍ أُخْرَى ذَكَرَ أَوْ أَنْشَى،

بشرط أن تكون سالمة من العيوب المضرة بالعمل.

**{مَنْ قَبِلَ أَنْ يَتَمَّاسًا}** أي:

يلزم الزوج أن يترك وطء زوجته التي ظاهر منها حتى يكفر برقبة.

**{ذَلِكَ}**

الحكم الذي ذكرناه لكم،

**{تُوعِظُونَ بِهِ}**

أي: يبين لكم حكمه مع الترهيب المقرون به،

\*\*\*تزجرون به

لأن معنى الوعظ ذكر الحكم مع الترغيب والترهيب،

فالذي يريد أن يظاهر، إذا ذكر أنه يجب عليه عتق رقبة كف نفسه عنه،

**{وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ}**

فيجازي كل عامل بعمله.

\*\*\* (خَيْرٌ)

بما يصلحكم عليم بأحوالكم

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ<sup>ط</sup> فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ

سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ<sup>ء</sup> وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ

وَاللَّكَفْرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ

{ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ }

رقبة يعتقها، بأن لم يجدها أو لم يجد ثمنها

{ف}

عليه

{ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ<sup>ط</sup> فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ }

الصيام

{ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا }

إما بأن يطعمهم من قوت بلده ما يكفيهم، كما هو قول كثير من المفسرين،

و إما بأن يطعم كل مسكين مُدَّ بُرٍّ أو نصف صاع من غيره مما يجزي في

الفطرة،

كما هو قول طائفة أخرى.

(ذَلِكَ)

الحكم الذي بيناه لكم، و وضحناه لكم  
\*\*\*و قد تقدمت الاحاديث الآمرة بهذا علي الترتيب كما في الحديث:

صحيح البخاري

1936 - عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَا كُتِّ. قَالَ: «مَا لَكَ؟»

قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ،

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتَقُهَا؟» قَالَ: لَا،

قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ»، قَالَ: لَا،

فَقَالَ: «فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا». قَالَ: لَا،

قَالَ: فَمَكَ النَّبِيُّ ﷺ فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ

أَتَى النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهَا مَرٌّ - وَ الْعَرَقُ الْمِ كَلٌّ -

قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» فَقَالَ: أَنَا،

قَالَ: «خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ»

فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرِ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَبْتَيْهَا - يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ - أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي،

فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ،

ثُمَّ قَالَ: «أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ» ( )

(هلكت) فعلت ما يستوجب الهلاك والعقوبة.

(وقعت على امرأتي) جامعتها.

## {لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} ع

و ذلك بالتزام هذا الحكم و غيره من الأحكام، و العمل به،  
فإن التزام أحكام الله، و العمل بها من الإيمان،  
بل هي المقصودة و مما يزيد به الإيمان و يكمل و ينمو.

## {وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ}

التي تمنع من الوقوع فيها،  
فيجب أن لا تتعدى ولا يقصر عنها.

## {وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

و في هذه الآيات، عدة أحكام:

- 1- لطف الله بعباده و اعتناؤه بهم، حيث ذكر شكوى هذه المرأة المصابة،  
و أزالها و رفع عنها البلوى،
- 2- بل رفع البلوى بحكمه العام لكل من ابتلي بمثل هذه القضية.
- 3- أن الظهار مختص بتحريم الزوجة،

---

(رقبة) عبد مملوكا أو أمة.

(تعنتها) تحررها من الرق. (فمكث) جلس ينتظر.

(الحرتين) مثنى حرة وهي أرض ذات حجارة سوداء والمدينة بين حرتين.

(أنيابه) هي الأسنان الملاصقة للرباعيات وهو علامة شدة ضحكه ﷺ

وكان ذلك منه تعجبا من حال الرجل وسرورا من حسن توسله وتلطفه للوصول إلى مقصوده]

لأن الله قال { مِنْ نِسَائِهِمْ } فلو حرم أمته،

لم يكن ذلك ظهارا، بل هو من جنس تحريم الطعام و الشراب،  
تجب فيه كفارة اليمين فقط.

4- أنه لا يصح الظهار من امرأة قبل أن يتزوجها،

لأنها لا تدخل في نسائه وقت الظهار،

كما لا يصح طلاقها، سواء نجز ذلك أو علقه.

5- أن الظهار محرم، لأن الله سماه منكرا من القول و زورا.

١ - تنبيه الله على وجه الحكم وحكمته،

لأن الله تعالى قال: { مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ }

٢ - أنه يكره للرجل أن ينادي زوجته و يسميها باسم محارمه،

كقوله " يا أمي " " يا أختي " و نحوه، لأن ذلك يشبه المحرم.

أن الكفارة إنما تجب بالعود لما قال المظاهر،

على اختلاف القولين السابقين لا بمجرد الظهار.

٣ - أنه يجزئ في كفارة الرقبة، الصغير و الكبير، و الذكر و الأنثى،

لإطلاق الآية في ذلك.

6- أنه يجب إخراجها إن كانت عتقا أو صياما قبل المسيس، كما قيده الله.

بخلاف كفارة الإطعام، فإنه يجوز المسيس و الوطاء في أثنائها.

7- أنه لعل الحكمة في وجوب الكفارة قبل المسيس،

أن ذلك أَدعى لإخراجها، فإنه إذا اشتاق إلى الجماع،  
و علم أنه لا يمكن من ذلك إلا بعد الكفارة، بادر لإخراجها.  
8- أنه لا بد من إطعام ستين مسكينا، فلو جمع طعام ستين مسكينا،  
و دفعها لواحد أو أكثر من ذلك، دون الستين لم يجز ذلك،

لأن الله قال: **{فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا}**

**إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَثُرُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَوَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتِنَا يَبَيِّنَاتٍ  
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ**

**(إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)**

محادة الله و رسوله:

مخالفتها و معصيتها خصوصا في الأمور الفظيعة،  
كمحاداة الله و رسوله بالكفر،  
و معاداة أولياء الله.

و قوله: **(كَثُرُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)**

أي: أذلوا و أهينوا كما فعل بمن قبلهم، جزاء وفاقا.  
و ليس لهم حجة على الله، فإن الله قد قامت حجته البالغة على الخلق،

**(وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتِنَا يَبَيِّنَاتٍ)**

و قد أنزل من الآيات البيّنات و البراهين ما يبين الحقائق و يوضح المقاصد،

فمن اتبعها و عمل عليها، فهو من المهتدين الفائزين،

**{وَالْكَافِرِينَ}**

بها

**{عَذَابٌ مُّهِينٌ}**

أي: يهينهم و يذلهم، كما تكبروا عن آيات الله، أهانهم الله و أذلهم.

**يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ**

**شَهِيدٌ**

يقول الله تعالى: **{ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا }**

فيقومون من أجداثهم سريعا" فيجازيهم بأعمالهم

**{ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا }**

من خير و شر، لأنه علم ذلك، و كتبه في اللوح المحفوظ،

**{ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ }**

و أمر الملائكة الكرام الحفظة بكتابته، هذا

**{و}**

العاملون قد نسوا ما عملوه، و الله أحصى ذلك.

**{ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }**

بالظواهر و السرائر، و الخبايا و الخفايا.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكْتُوْنَ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ  
 إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ  
 مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾

**(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)**

و لهذا أخبر عن سعة علمه و إحاطته بما في السماوات و الأرض من دقيق  
 و جليل. و أنه

**مَا يَكْتُوْنَ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى  
 مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا**

والمراد بهذه المعية معية العلم و الإحاطة بما تناجوا به و أسروه فيما بينهم،

**\*\*\* { أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ }**

[التوبة: 78]

**(ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**

ولهذا قال: **(إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)**

**\*\*\* قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: افْتَتَحَ الْآيَةَ بِالْعِلْمِ، وَ اخْتَتَمَهَا بِالْعِلْمِ.**

ثم قال تعالى:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ التَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ  
وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا  
يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَبئسَ الْمَصِيرُ

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ التَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ

## وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ

النجوى :

التناجى بين اثنين فأكثر، و قد تكون في الخير، و تكون في الشر.

فأمر الله تعالى المؤمنين أن يتناجوا

بالبـر:-

و هو اسم جامع لكل خير و طاعة، و قيام بحق لله و لعباده

و التقوى و هي هنا :-

اسم جامع لترك جميع المحارم و المآثم،

فالمؤمن يمثّل هذا الأمر الإلهي،

فلا تجده مناجيا و متحدثا إلا بما يقربه من الله، و يباعده من سخطه،

و الفاجر يتهاون بأمر الله، و يناجى بالإثم و العدوان و معصية الرسول،

كالمنافقين الذين هذا دأبهم و حالهم مع الرسول ﷺ.

قال تعالى (وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا

اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسِبْتُمْ بِهِمْ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسُ الْمَصِيرُ )

أي: يسيئون الأدب معك في تحيتهم لك،

\*جاء في الصحيح المسند من اسباب النزول

مسند أحمد ط الرسالة

7061 - عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو:

" أن اليهود أتت النبي ﷺ

فَقَالَتْ: السَّامُ عَلَيْكَ، وَقَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ:

{لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ} [المجادلة:8] ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

{وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ}

فَقَرَأَ إِلَى قَوْلِهِ {فَيَنْسُ الْمَصِيرُ} [المجادلة:8]

\*\*\* مسند أحمد ط الرسالة -

25029 - عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ:

بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَأَذِنَ لَهُ،

فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

وَ عَلَيْكَ

قَالَتْ: فَهَمَمْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ،

قَالَتْ: ثُمَّ دَخَلَ الثَّانِيَّةَ،

فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

وَ عَلَيْكَ " قَالَتْ: ثُمَّ دَخَلَ الثَّالِثَةَ،  
فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ،  
قَالَتْ: فَقُلْتُ: بَلِ السَّامُ عَلَيْكُمْ وَ غَضِبُ اللَّهِ إِخْوَانَ الْقِرَدَةِ وَ الْخَنَازِيرِ،  
أَتَحْيُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَا لَمْ يُحْيِهِ بِهِ اللَّهُ؟  
قَالَتْ: فَنَظَرَ إِلَيَّ،  
فَقَالَ: " مَهْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَ لَا التَّفَحُّشَ،  
قَالُوا قَوْلًا، فَرَدَدْنَاهُ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَضُرَّنَا شَيْءٌ،  
وَ لَزِمَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،  
إِنَّهُمْ لَا يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى  
1- يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا وَ صَلَّوْا عَنْهَا،  
2- وَ عَلَى الْفِئَلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا وَ صَلَّوْا عَنْهَا،  
3- وَ عَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ: آمِينَ "

**(اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ)**

أي: يسرون في أنفسهم ما ذكره عالم الغيب و الشهادة عنهم، و هو قولهم:

**(لَوْلَا يَعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ)**

و معنى ذلك أنهم يتهاونون بذلك،  
و يستدلون بعدم تعجيل العقوبة عليهم، أن ما يقولون غير محذور،  
قال تعالى في بيان أنه يمهل و لا يهمل:

**(حَسْبُ لَهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا)**

أي: تكفيهم جهنم التي جمعت كل شقاء و عذاب عليهم ، تحيط بهم،

و يعذبون بها

(فَبِئْسَ الْمَصِيرُ)

و هؤلاء المذكورون

1- إما أناس من المنافقين يظهرن الإيمان،

و يخاطبون الرسول ﷺ بهذا الخطاب الذي يوهمون أنهم أرادوا به خيرا  
و هم كذبة في ذلك،

2- و إما أناس من أهل الكتاب، الذين إذا سلموا على النبي ﷺ ،  
قالوا: « السام عليك يا محمد » يعنون بذلك الموت.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا

بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١﴾

\*\*\* ثُمَّ قَالَ اللَّهُ مُؤَدَّبًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَّا يَكُونُوا مِثْلَ الْكُفْرَةِ وَالْمُنَافِقِينَ:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ }  
أي: كَمَا يَتَنَاجَى بِهِ الْجَهْلَةُ مِنْ كُفْرَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ مَنْ مَالَهَم عَلَى ضَلَالِهِمْ  
مِنَ الْمُنَافِقِينَ،

{ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ }

أي: فَيُخَبِّرْكُمْ بِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ وَ أَقْوَالِكُمْ الَّتِي أَحْصَاهَا عَلَيْكُمْ،  
وَ سَيَجْزِيكُمْ بِهَا

صحيح البخاري

4685 - عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، قَالَ:

بَيْنَا ابْنُ عُمَرَ يَطُوفُ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ،  
فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ - أَوْ قَالَ:

يَا ابْنَ عُمَرَ - سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّجْوَى؟

فَقَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:

يُدْنِي الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ -

وَ قَالَ هَشَامٌ: يَدْنُو الْمُؤْمِنُ - حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيَقْرُرُهُ بِذُنُوبِهِ،

تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ يَقُولُ: أَعْرِفُ، يَقُولُ:

رَبِّ أَعْرِفُ مَرَّتَيْنِ، فَيَقُولُ: سَتَرْتَهَا فِي الدُّنْيَا، وَ أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ،

ثُمَّ تُطَوَّى صَحِيفَةٌ حَسَنَاتِهِ،

وَ أَمَّا الْآخَرُونَ - أَوْ الْكُفَّارُ - فَيُنَادَى عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ:

{هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود: 18]

إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا

بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

يقول تعالى: (إِنَّمَا النَّجْوَى)

أي: تناجي أعداء المؤمنين بالمؤمنين، بالمكر و الخديعة، و طلب السوء

(من الشَّيْطَانِ)

الذي كيده ضعيف و مكره غير مفيد.

(لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا)

هذا غاية هذا المكر و مقصوده.

\*\*\*ليسوءهم

صحيح البخاري

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:  
«إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى رَجُلَانِ دُونَ الْآخَرِ  
حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، أَجَلٌ أَنْ يُحْزَنَهُ» ( )

**(وَلَيْسَ بِضَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)**

فإن الله تعالى وعد المؤمنين بالكفاية و النصر على الأعداء، و قال تعالى:

**(وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ)**

فأعداء الله و رسوله و المؤمنين، مهما تناجوا و مكروا،

فإن ضرر ذلك عائد إلى أنفسهم،

و لا يضر المؤمنين إلا شيء قدره الله و قضاه،

\*\*\*وَمَنْ أَحْسَسَّ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَ لِيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ،  
فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ بِإِذْنِ اللَّهِ.

**(وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون)**

---

(تختلطوا بالناس) تصبخوا أكثر من ثلاثة.

(أجل أن يحزنه) وفي نسخة (أجل أن ذلك يحزنه)

وفي [الأدب المفرد] للمصنف (من أجل أن ذلك يحزنه) أي من أجل أن المناجاة دونه تزعجه

وتسيئه]

أي: ليعتمدوا عليه و يثقوا بوعده، فإن من توكل على الله كفاه،  
و تولى أمر دينه و دنياه .

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ  
لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا

الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

(يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ  
لَكُمْ) <sup>ط</sup>

هذا تأديب من الله لعباده المؤمنين، إذا اجتمعوا في مجلس من مجالس  
مجتمعاتهم

و احتاج بعضهم أو بعض القادمين عليهم للتفسيح له في المجلس،  
فإن من الأدب أن يفسحوا له تحصيلا لهذا المقصود.

و ليس ذلك بضر للجالس شيئا،

فيحصل مقصود أخيه من غير ضرر يلحقه هو،

و الجزاء من جنس العمل، فإن من فسح فسح الله له،

و من وسع لأخيه، وسع الله عليه.

\*\*\* صحيح البخاري - 6269

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ»

(وَلِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا)

أي: ارتفعوا و تنحوا عن مجالسكم لحاجة تعرض،

(فَأَنْشُرُوا)

أي: فبادروا للقيام لتحصيل تلك المصلحة،

فإن القيام بمثل هذه الأمور من العلم و الإيمان،

(يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ<sup>ع</sup>)

و الله تعالى يرفع أهل العلم و الإيمان درجات

بحسب ما خصهم الله به، من العلم و الإيمان.

\*\*\*صحيح مسلم -817

عَنْ عَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ، لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ،  
وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ،

فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ: ابْنُ أَبِي  
قَالَ: وَ مَنِ ابْنُ أَبِي؟

قَالَ: مَوْئِي مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَخَلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْئِي؟  
قَالَ: إِنَّهُ قَارِيٌّ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَ إِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ،

قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ  
«إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ».

(وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)

فيجازي كل عامل بعمله، إن خيرا فخير، و إن شرا فشر.

و في هذه الآية:-

فضيلة العلم، و أن زينته وثمرته التأدب بآدابه و العمل بمقتضاه.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰتِكُمْ صَدَقَةٌ ذٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ

وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنِ اللّٰهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾ ءَأَسْفَقْتُمْ أَن تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰتِكُمْ

صَدَقْتُمْ فَاذ لَّمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَءَاتُوا الزَّكٰوةَ وَأَطِيعُوا اللّٰهَ

وَرَسُوْلَهُ ؕ وَاللّٰهُ خَيْرٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

**يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰتِكُمْ صَدَقَةٌ**

يأمر تعالى المؤمنين بالصدقة، أمام مناجاة رسوله محمد

ﷺ تأديبا لهم و تعليما، و تعظيما للرسول

**ذٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ**

فإن هذا التعظيم، خير للمؤمنين و أطهر

أي: بذلك يكثر خيركم و أجركم،

و تحصل لكم الطهارة من الأدناس، التي من جملتها ترك احترام الرسول

و الأدب معه بكثرة المناجاة التي لا ثمرة تحتها،

فإنه إذا أمر بالصدقة بين يدي مناجاته صار هذا ميزانا لمن كان حريصا على

الخير و العلم، فلا يبالي بالصدقة،

و من لم يكن له حرص و لا رغبة في الخير،

و إنما مقصوده مجرد كثرة الكلام،

فينكف بذلك عن الذي يشق على الرسول،

هذا في الواجد للصدقة،

**(فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)**

و أما الذي لا يجد الصدقة، فإن الله لم يضيق عليه الأمر، بل عفا عنه و سامحه، و أباح له المناجاة، بدون تقديم صدقة لا يقدر عليها.

**(ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جِبُونَكُمْ صَدَقَاتٍ)**

ثم لما رأى تبارك و تعالى شفقة المؤمنين، و مشقة الصدقات عليهم عند كل مناجاة، سهل الأمر عليهم، و لم يؤاخذهم بترك الصدقة بين يدي المناجاة، و بقي التعظيم للرسول و الاحترام بحاله لم ينسخ، لأن هذا الحكم من باب المشروع لغيره، ليس مقصودا لنفسه، و إنما المقصود هو الأدب مع الرسول و الإكرام له، و أمرهم تعالى أن يقوموا بالمأمورات الكبار المقصودة بنفسها، فقال:

**(فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا)**

أي: لم يهن عليكم تقديم الصدقة، و لا يكفي هذا، فإنه ليس من شرط الأمر أن يكون هينا على العبد، و لهذا قيده بقوله:

**(وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ)**

أي: عفا لكم عن ذلك،

## (فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ)

بأركانها و شروطها، و جميع حدودها و لوازمها،

## (وَأَتُوا الزَّكَاةَ)

المفروضة في أموالكم إلى مستحقيها.

و هاتان العبادتان هما أم العبادات البدنية و المالية،

فمن قام بهما على الوجه الشرعي، فقد قام بحقوق الله و حقوق عباده،

و لهذا قال بعده:

## (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ<sup>٤</sup>)

و هذا أشمل ما يكون من الأوامر.

و يدخل في ذلك طاعة الله و طاعة رسوله، بامتثال أوامرهما

و اجتناب نواهيهما، و تصديق ما أخبرا به،

و الوقوف عند حدود الله .

و العبرة في ذلك على الإخلاص و الإحسان، و لهذا قال:

## (وَاللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ)

فيعلم تعالى أعمالهم، و على أيّ وجه صدرت،

فيجازيهم على حسب علمه بما في صدورهم.

﴿١٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى  
 الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾  
 اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ نُغْنِيَ عَنْهُمْ  
 أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ  
 يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ  
 الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا  
 إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾

\*\*ينكر الله تعالى علي المنافقين في هذه الآيات كما قال تعالى  
 [ مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ

سَيِّئًا ] [النساء: 143]

\* جاء في الصحيح المسند من اسباب النزول

مسند أحمد ط الرسالة 2147

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ:

يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ يَنْظُرُ بَعَيْنِ شَيْطَانٍ، أَوْ بَعَيْنِي شَيْطَانٍ  
 قَالَ: فَدَخَلَ رَجُلٌ أَزْرَقُ،

فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عَلَامَ سَبَبْتَنِي - أَوْ شَتَمْتَنِي أَوْ نَحَوَ هَذَا - ؟

قَالَ: وَجَعَلَ يَحْلِفُ، قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْمُجَادَلَةِ:

**{ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [المجادلة 14]**  
وَالْآيَةَ الْآخَرَى

يخبر تعالى عن شناعة حال المنافقين الذين يتولون الكافرين،  
من اليهود و النصارى و غيرهم ممن غضب الله عليهم،  
و نالوا من لعنة الله أوفى نصيب،

**(مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)**

و أنهم ليسوا من المؤمنين و لا من الكافرين،

**{ مُدْبَذِبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ } [النساء: 143]**

فليسوا مؤمنين ظاهرا و باطنا لأن باطنهم مع الكفار، و لا مع الكفار ظاهرا و  
باطنا،

لأن ظاهرهم مع المؤمنين، و هذا وصفهم الذي نعتهم الله به،

**(وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)**

و الحال أنهم يحلفون على ضده الذي هو الكذب،

فيحلفون أنهم مؤمنون، و هم يعلمون أنهم ليسوا مؤمنين.

\*\*\*اليمين الغموس

**(أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا<sup>ط</sup>)**

فجزاء هؤلاء الخونة الفجرة الكذبة، أن الله أعد لهم عذابا شديدا،  
لا يقادر قدره، و لا يعلم وصفه،

**(إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)**

حيث عملوا بما يسخط الله و يوجب عليهم العقوبة و اللعنة.

**(اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)**

أي: ترسا و وقاية، يتقون بها من لوم الله و رسوله و المؤمنين،  
فسبب ذلك صدوا أنفسهم و غيرهم عن سبيل الله،  
و هي الصراط الذي من سلكه أفضى به إلى جنات النعيم.  
و من صد عنه فليس إلا الصراط الموصل إلى الجحيم،

**(فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ)**

حيث استكبروا عن الإيمان بالله و الانقياد لآياته،

أهانهم بالعذاب السرمدي، الذي لا يفتر عنهم ساعة و لا هم ينظرون.  
\*\*\* فِي مُقَابَلَةِ مَا أَمْتَهُنُوا مِنْ الْحَلْفِ بِاسْمِ اللَّهِ الْعَظِيمِ فِي الْأَيْمَانِ الْكَاذِبَةِ  
الْحَانِثَةِ.

**(لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا)**

فلا تدفع عنهم شيئا من العذاب، و لا تحصل لهم قسطا من الثواب،

**(أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ)**

الملازمون لها، الذين لا يخرجون عنها،

**(وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)**

و من عاش على شيء مات عليه.

**(يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا)**

فكما أن المنافقين في الدنيا يموهون على المؤمنين،

و يحلفون لهم أنهم مؤمنون،

فإذا كان يوم القيامة و بعثهم الله جميعا،

**(فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ)**

حلفوا لله كما حلفوا للمؤمنين،

**(وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ)**

و يحسبون في حلفهم هذا أنهم على شيء،

لأن كفرهم ونفاقهم وعقائدهم الباطلة، لم تنزل ترسخ في أذهانهم شيئا فشيئا،

حتى غرتهم و ظنوا أنهم على شيء يعتد به، و يعلق عليه الثواب،

**(أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ)**

و هم كاذبون في ذلك،

و من المعلوم أن الكذب لا يروج على عالم الغيب و الشهادة.

**(أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ**

**الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)**

و هذا الذي جرى عليهم من استحواذ الشيطان الذي استولى عليهم،

و زين لهم أعمالهم، و أنساهم ذكر الله،

و هو العدو المبين، الذي لا يريد بهم إلا الشر،

{ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ } [فاطر: 6]

\*\*سنن أبي داود - حكم الألباني : حسن

547 - عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

« مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ وَلَا تَقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ،

فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذُّنْبَ الْقَاصِيَةَ،»

قَالَ زَائِدَةٌ: قَالَ السَّائِبُ: يَعْنِي بِالْجَمَاعَةِ : الصَّلَاةُ فِي الْجَمَاعَةِ

الذين خسروا دينهم و دنياهم و أنفسهم و أهلهم.

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾

كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

(إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ)

\*\*يُحَادُّونَ: المحاددين الذين هم في حد و الشرع في حد أو المجانبون للحق

(اللَّهُ وَرَسُولُهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ )

الاشقياء البعيدين المطرودين عن الصواب الاذلين في الدنيا و الاخرة

هذا وعد و وعيد، و عيد لمن حاد الله و رسوله بالكفر و المعاصي،

أنه مخذول مذلول، لا عاقبة له حميدة، و لا راية له منصوره.

(كَتَبَ)

\*كتب الله في اللوح المحفوظ

(اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي)

و وعد لمن آمن به، و برسله، و اتبع ما جاء به المرسلون،  
فصار من حزب الله المفلحين، أن لهم الفتح و النصر و الغلبة في الدنيا  
و الآخرة،

و هذا وعد لا يخلف و لا يغير،

(إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)

فإنه من الصادق القوي العزيز الذي لا يعجزه شيء يريد.

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ  
كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي  
قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ  
أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى:

**(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)**

أي: لا يجتمع هذا و هذا، فلا يكون العبد مؤمنا بالله و اليوم الآخر حقيقة،  
إلا كان عاملا على مقتضى الإيمان و لوازمه،

من محبة من قام بالإيمان و مولاته،

و بغض من لم يقم به و معاداته، و لو كان أقرب الناس إليه.

و هذا هو الإيمان على الحقيقة، الذي وجدت ثمرته و المقصود منه،

**\*\*\*كقوله {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ**

**وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا**

**أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ**

**وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}**

[التوبة: 24]

وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ  
أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ يَدْخُلُهُمْ جَنَّتِ  
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ  
اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

{أُولَئِكَ كَتَبَ }

و أهل هذا الوصف هم الذين كتب الله

(فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ)

أي: رسمه و ثبته و غرسه غرسا، لا يتزلزل، و لا تؤثر فيه الشبهه و الشكوك.

(وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ)

و هم الذين قواهم الله بروح منه أي:

بوحيه، و معونته، و مدده الإلهي و إحسانه الرباني.

وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

و هم الذين لهم الحياة الطيبة في هذه الدار،

و لهم جنات النعيم في دار القرار،

التي فيها من كل ما تشتهيهِ الأنفس،

و تلذ الأعين، و تختار، و لهم أكبر النعيم و أفضله،

## رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ

و هو أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً،  
و يرضون عن ربهم بما يعطيهم من أنواع الكرامات،  
و وافر المثوبات، و جزيل الهبات، و رفيع الدرجات  
بحيث لا يرون فوق ما أعطاهم مولاهم غاية، و لا فوقه نهاية .  
- و أما من يزعم أنه يؤمن بالله و اليوم الآخر:  
و هو مع ذلك مواد لأعداء الله، محب لمن ترك الإيمان وراء ظهره،  
فإن هذا إيمان زعمي لا حقيقة له،  
فإن كل أمر لا بد له من برهان يصدقه، فمجرد الدعوى،  
لا تفيد شيئاً و لا يصدق صاحبها.

## أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

\*\*\*عباد الله و اهل كرامته

### 59- تفسير سورة الحشر- و هي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ  
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا

أَنَّهُمْ مَانَعْتَهُمْ حُصُونَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي

قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ

فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾

إلى آخر القصة.

\*\*\* صحيح البخاري

4882 - سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: سُورَةُ التَّوْبَةِ،

قَالَ: «التَّوْبَةُ هِيَ الْفَاضِحَةُ، مَا زَالَتْ تَنْزُلُ، وَ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ،

حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهَا لَنْ تُبْقِيَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا ذَكَرَ فِيهَا»،

قَالَ: قُلْتُ: سُورَةُ الْأَنْفَالِ، قَالَ: «نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ»،

قَالَ: قُلْتُ: سُورَةُ الْحَشْرِ، قَالَ: «نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ» ( )

\*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول

المستدرك على الصحيحين للحاكم

3797 - عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ وَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَأْسِ سِتَّةِ

أَشْهُرٍ مِنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ

وَ كَانَ مَنْزِلُهُمْ وَنَخْلُهُمْ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ،

فَحَاصِرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاءِ،

وَ عَلَى أَنْ لَهُمْ مَا أَقَلَّتِ الْإِبِلُ مِنَ الْأَمْتَعَةِ وَالْأَمْوَالِ إِنَّا الْخَلْقَةُ،

(الفاضحة) سميت بذلك لأنها فضحت المنافقين وكشفت معايبهم]

يَعْنِي السَّلَاحَ،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}

إِلَى قَوْلِهِ {لَأَوَّلُ الْحَشْرِ مَا ظَنَّتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا} [الحشر:2]

فَقَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى صَالَحَهُمْ عَلَى الْجَلَاءِ،

فَاجْلَاهُمْ إِلَى الشَّامِ وَكَانُوا مِنْ سِبْطٍ لَمْ يُصِيبَهُمْ جَلَاءٌ فِيمَا خَلَا

وَكَانَ اللَّهُ قَدْ كَتَبَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ

وَ تَوَلَّوْا ذَلِكَ لِعَذَابِهِمْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالسَّبِّ،

وَأَمَّا قَوْلُهُ {لَأَوَّلُ الْحَشْرِ} [الحشر:2]

فَكَانَ جَلَاؤُهُمْ ذَلِكَ أَوَّلَ حَشْرِ فِي الدُّنْيَا إِلَى الشَّامِ

هذه السورة تسمى (سورة بني النضير)

وهم طائفة كبيرة من اليهود في جانب المدينة،

وقت بعثة النبي فلما بعث النبي ﷺ وهاجر إلى المدينة،

كفروا به في جملة من كفر من اليهود،

فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة هادن سائر طوائف اليهود الذين هم جيرانه

في المدينة،

فلما كان بعد وقعة بدر بستة أشهر أو نحوها،

خرج إليهم النبي ﷺ و كلمهم أن يعينوه في دية الكلابيين الذين قتلهم عمرو

بن أمية الضمري،

فقالوا: نفعل يا أبا القاسم، اجلس هاهنا حتى نقضي حاجتك،

فخلا بعضهم ببعض، وسول لهم الشيطان الشقاء الذي كتب عليهم،  
فتآمروا بقتله،

و قالوا: أيكم يأخذ هذه الرحي فيصعد فيلقبها على رأسه يشدخه بها؟

فقال أشقاهم عمرو بن جحاش: أنا،

فقال لهم سلام بن مشكم: لا تفعلوا،

فو الله ليخبرن بما همتم به، و إنه لنقض العهد الذي بيننا و بينه،

و جاء الوحي على الفور إليه من ربه، بما هموا به،

فنهض مسرعا، فتوجه إلى المدينة، و لحقه أصحابه،

فقالوا: نهضت و لم نشعر بك، فأخبرهم بما همت يهود به.

و بعث إليهم رسول الله:

« أن اخرجوا من المدينة و لا تساكنوني بها، و قد أجلتكم عشرا،

فمن وجدت بعد ذلك بها ضربت عنقه »

فأقاموا أياما يتجهزون، و أرسل إليهم المنافق عبد الله بن أبي بن سلول :

« أن لا تخرجوا من دياركم، فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم،

فيموتون دونكم، و تنصركم قريظة و حلفاؤكم من غطفان » .

و طمع رئيسهم حبي بن أخطب فيما قال له، و بعث إلى رسول الله ﷺ

يقول: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك.

فكبر رسول الله ﷺ و أصحابه، و نهضوا إليهم،

و علي بن أبي طالب عليه السلام يحمل اللواء.

فأقاموا على حصونهم يرمون بالنبل و الحجارة، و اعتزلتهم قريظة،

و خانهم ابن أبي و حلفاؤهم من غطفان،

فحاصرهم رسول الله و قطع نخلهم و حرق.

فأرسلوا إليه: نحن نخرج من المدينة،

فأنزلهم على أن يخرجوا منها بنفوسهم، و ذراريهم،

و أن لهم ما حملت إبلهم إلا السلاح، و قبض رسول الله عليه السلام الأموال و السلاح.

و كانت بنو النضير، خالصة لرسول الله لنوائبه و مصالح المسلمين،

و لم يخمسها،

لأن الله أفاءها عليه، و لم يوجف المسلمون عليها بخيل و لا ركاب،

و أجلاهم إلى خيبر و فيهم حيي بن أخطب كبيرهم،

و استولى على أرضهم و ديارهم، و قبض السلاح،

فوجد من السلاح خمسين درعا، و خمسين بيضة، و ثلاثمائة و أربعين سيفاً،

هذا حاصل قصتهم كما ذكرها أهل السير.

## سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

فاتفتح تعالى هذه السورة بالإخبار أن جميع من في السماوات و الأرض

تسبح بحمد ربها، و تنزهه عما لا يليق بجلاله، و تعبده و تخضع لجلاله

لأنه العزيز الذي قد قهر كل شيء، فلا يمتنع عليه شيء،

\*\*\*كقوله { تَسْبِخُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا  
يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا  
[الإسراء: 44]

(وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

و لا يستعصي عليه مستعصي الحكيم في خلقه و أمره،  
فلا يخلق شيئاً عبثاً، و لا يشرع ما لا مصلحة فيه،  
و لا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته.

هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ

و من ذلك، نصر الله لرسوله ﷺ على الذين كفروا من أهل الكتاب من بني  
النضير حين غدروا برسوله

فأخرجهم من ديارهم و أوطانهم التي ألفوها و أحبوها.

و كان إخراجهم منها أول حشر و جلاء كتبه الله عليهم على يد رسوله محمد  
ﷺ فجلوا إلى خيبر،

و دلت الآية الكريمة أن لهم حشراً و جلاء غير هذا،

فقد وقع حين أجلاهم النبي ﷺ من خيبر، ثم عمر رضي الله عنه، أخرج بقيتهم  
منها.

(مَا ظَنَنْتُمْ)

أيها المسلمون

(أَنْ يَخْرُجُوا<sup>ط</sup>)

من ديارهم، لحصانتها، و منعتها، و عزهم فيها.

(وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانَعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ)

فأعجبوا بها و غرتهم، و حسبوا أنهم لا ينالون بها،

و لا يقدر عليها أحد، و قدر الله تعالى وراء ذلك كله،

لا تغني عنه الحصون و القلاع، و لا تجدي فيهم القوة و الدفاع.

\*\*\* {قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ

السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ} [النحل: 26]

و لهذا قال:

(فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا<sup>ط</sup>)

أي: من الأمر و الباب، الذي لم يخطر ببالهم أن يؤتوا منه،

و هو أنه تعالى

(وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ<sup>ع</sup>)

و هو الخوف الشديد، الذي هو جند الله الأكبر،

الذي لا ينفع معه عدد و لا عدة، و لا قوة و لا شدة،

فالأمر الذي يحتسبونه و يظنون أن الخلل يدخل عليهم منه إن دخل هو

الحصون التي تحصنوا بها، و اطمأنت نفوسهم إليها،

و من وثق بغير الله فهو مخذول، و من ركن إلى غير الله فهو عليه وبال ،  
فأتاهم أمر سماوي نزل على قلوبهم،

التي هي محل الثبات و الصبر، أو الخور و الضعف،  
فأزال الله قوتها و شدتها، و أورثها ضعفا و خورا و جينا،  
لا حيلة لهم و لا منعة معه ، فصار ذلك عوناً عليهم،

### \* صحيح البخاري 438

جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

" أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي:

1- نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ،

2- وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَ طَهُورًا،

وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ،

3- وَ أُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ،

4- وَ كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَ بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً،

5- وَ أُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ (□)

و لهذا قال:

**يُخْرَبُونَ بِيُوتِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ**

---

(أدركته الصلاة) حان عليه وقتها في مكان ما.  
[أعطيت الشفاعة) العظمة أو غيرها مما اختص به]

و ذلك أنهم صالحوا النبي ﷺ، على أن لهم ما حملت الإبل.

فنقضوا لذلك كثيرا من سقوفهم، التي استحسوها،

و سلطوا المؤمنين بسبب بغيتهم على إخراج ديارهم و هدم حصونهم،

فهم الذين جنوا على أنفسهم، و صاروا من أكبر عون عليها،

\*\*\* فَأَجْلَاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ، وَ أَخْرَجَهُمْ مِنْ حُصُونِهِمُ الْحَصِينَةَ الَّتِي مَا طَمَعَ فِيهَا

الْمُسْلِمُونَ،

وَ ظَنُّوا هُمْ أَنَّهَا مَانَعَتْهُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ،

فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ بِإِلَيْهِمْ،

وَ سَيَّرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ وَ أَجْلَاهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ،

فَكَانَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ذَهَبُوا إِلَى أَدْرَعَاتٍ مِنْ أَعَالِي الشَّامِ

وَ هِيَ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَ الْمَنْشَرِ، وَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ذَهَبُوا إِلَى خَيْبَرَ.

وَ كَانَ قَدْ أَنْزَلَهُمْ مِنْهَا عَلَى أَنْ لَهُمْ مَا حَمَلَتْ إِبِلُهُمْ،

فَكَانُوا يُخَرَّبُونَ مَا فِي بُيُوتِهِمْ مِنَ الْمَنْقُولَاتِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تُحْمَلَ مَعَهُمْ؛

**(فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ)**

أي: البصائر النافذة، و العقول الكاملة،

فإن في هذا معتبرا يعرف به صنع الله تعالى في المعاندين للحق،

المتبعين لأهوائهم، الذين لم تنفعهم عزتهم، و لا منعتهم قوتهم،

و لا حصنتهم حصونهم،

حين جاءهم أمر الله، و وصل إليهم النكال بذنوبهم،

و العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب،

فإن هذه الآية تدل على الأمر بالاعتبار،

و هو اعتبار النظير بنظيره،

و قياس الشيء على مثله،

و التفكير فيما تضمنته الأحكام من المعاني و الحكم التي هي محل العقل و  
الفكرة،

و بذلك يزداد العقل، و تنور البصيرة و يزداد الإيمان،

و يحصل الفهم الحقيقي،

**وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُهمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ**

ثم أخبر تعالى أن هؤلاء اليهود لم يصبهم جميع ما يستحقون من العقوبة،  
و أن الله خفف عنهم.

فلولا أنه كتب عليهم الجلاء الذي أصابهم و قضاه عليهم و قدره بقدره الذي  
لا يبدل و لا يغير، لكان لهم شأن آخر من عذاب الدنيا و نكالها،  
و لكنهم - و إن فاتهم العذاب الشديد الدنيوي -

فإن لهم في الآخرة عذاب النار، الذي لا يمكن أن يعلم شدته إلا الله تعالى،  
فلا يخطر ببالهم أن عقوبتهم قد انقضت و فرغت و لم يبق لهم منها بقية،  
فما أعد الله لهم من العذاب في الآخرة أعظم و أطم

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ <sup>ط</sup> وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ  
 مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا  
 آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ  
 رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ  
 الْقُرَى فَلِلَّهِ وَاللرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً  
 بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا ءَانَتْكُمْ الرَّسُولُ فَاخْذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ <sup>ط</sup>  
 إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾

{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ }

و ذلك لأنهم

{ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ <sup>ط</sup> }

و عادوهما و حاربوهما، و سعوا في معصيتهما.

{ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }

و هذه عادته و سنته فيمن شاقه

{ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ

{ الْفَاسِقِينَ }

و لما لام بنو النضير رسول الله ﷺ و المسلمين في قطع النخيل و الأشجار،  
و زعموا أن ذلك من الفساد، و توصلوا بذلك إلى الطعن بالمسلمين،  
أخبر تعالى أن قطع النخيل إن قطعوه أو إبقاءهم إياه إن أبقوه، إنه بإذنه تعالى،  
و أمره

حيث سلطكم على قطع نخلهم، و تحريقها،  
ليكون ذلك نكالا لهم، و خزيا في الدنيا، و ذلا يعرف به عجزهم التام،  
الذي ما قدروا على استنقاذ نخلهم، الذي هو مادة قوتهم.

\*\*\*صحيح البخاري

2326 - عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:  
«أَنَّهُ حَرَّقَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ، وَ قَطَعَ»

صحيح البخاري

4028 - عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

" حَارَبَتِ النَّضِيرُ، وَ قُرَيْظَةُ، فَأَجَلَى بَنِي النَّضِيرِ،  
وَ أَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَ مَنْ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةَ، فَكَتَلَ رِجَالَهُمْ،

وَ قَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَ أَوْلَادَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا بَعْضَهُمْ لِحِقْوَا  
 بِالنَّبِيِّ ﷺ فَأَمَنَهُمْ وَ أَسْلَمُوا،  
 وَ أَجَلَى يَهُودَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ: بَنِي قَيْنِقَاعٍ،  
 وَ هُمْ رَهْطُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَ يَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَ كُلَّ يَهُودِ الْمَدِينَةِ ( )  
 صحيح مسلم -

(1746) عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ،

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَرَقَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ، وَ قَطَعَ  
 وَ هِيَ الْبُؤَيْرَةُ،» زَادَ قَتَيْبَةُ، وَ ابْنُ رُمَحٍ فِي حَدِيثِهِمَا:  
 فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

{ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ  
 الْفَاسِقِينَ } [الحشر: 5] ( )

(حاربت) نقضت العهد وصارت محاربة.  
 (النضير وقريظة) قبيلتان من قبائل اليهود.  
 (من عليهم) أطلقهم ولم يأخذ منهم شيئاً.  
 (حتى حاربت) نقضت العهد وأثارت قريشا ضد المسلمين.  
 (بعضهم) بعض رجال قريظة. (رهط) جماعة]

(حرق نخل بني النضير وقطع)  
 أي أكثر إحراقها بالنار وقطع بعضها وبنو النضير طائفة من اليهود  
 (البويرة) موضع نخل بني النضير

\*أورد الشيخ الوادعي هذا الحديث في الصحيح المسند من اسباب  
النزول

صحيح البخاري

4032 - عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَرَّقَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ "

قَالَ: وَ لَهَا يَقُولُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:

وَ هَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ ... حَرِيقٌ بِالْبُؤَيْرَةِ مُسْتَطِيرٌ

قَالَ: فَأَجَابَهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ

أَدَامَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ صَنِيعٍ ... وَحَرَّقَ فِي نَوَاحِيهَا السَّعِيرُ،

سَتَعَلَّمَ أَيْنَا مِنْهَا بِنُزِهِ ... وَتَعَلَّمَ أَيُّ أَرْضَيْنَا تَضِيرُ ( )

{ لَيْتَةٌ }

اسم يشمل سائر النخيل على أصح الاحتمالات و أولاهها،

(أبو سفيان بن الحارث) بن عبد المطلب وكان يومها كافرا وأسلم يوم الفتح.

(نواحيها) وهي المدينة وسائر مواضع الإسلام في حينها.

(السعير) النار الشديدة.

(بنزة) في بعد من السوء.

(أي أرضينا) بلدينا المدينة ومكة.

(تضير) يصيبها الضرر]

فهذه حال بني النضير، و كيف عاقبهم الله في الدنيا.  
ثم ذكر من انتقلت إليه أموالهم وأمتعتهم، فقال:

{ وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ }

أي: من أهل هذه القرية، و هم بنو النضير.

{ ف }

إنكم يا معشر المسلمين

{ فَمَا أَوْجَفْتُمْ }

أي: ما أجليتم و أسرعتم و حشدتم،

{ عَلَيْهِ مِنْ حَيْلٍ وَلَا }

أي: لم تتعوا بتحصيلها، لا بأنفسكم و لا بمواشيكم،

بل قذف الله في قلوبهم الرعب، فأتتكم صفوا عفوا،

{ رِكَابٍ }

\*\*\*الابل

و لهذا قال:

{ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَسْلُطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

من تمام قدرته أنه لا يمتنع منه ممتنع، و لا يتعزز من دونه قوي.

و تعريف [الفيء] في اصطلاح الفقهاء:-

هو ما أخذ من مال الكفار بحق، من غير قتال،

كهذا المال الذي فروا و تركوه خوفا من المسلمين، و سمي فيئا،

لأنه رجع من الكفار الذين هم غير مستحقين له،

إلى المسلمين الذين لهم الحق الأوفر فيه.

و حكمه العام، كما ذكره الله في قوله

**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ**

**يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**

**(مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ)**

عموما، سواء أفاء الله في وقت رسوله أو بعده، لمن يتولى من بعده أمته .

\*\*جميع البلدان التي تُفتح هكذا فحكمها كحكم بني النضير

**{فَلِلَّهِ وَاللرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ}**

و هذه الآية نظير الآية التي في سورة الأنفال، في قوله:

{وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ } [الأنفال: 41]

—فهذا الفيء يقسم خمسة أقسام:

1- خمس لله ولرسوله يصرف في مصالح المسلمين العامة

2- وخمس لذوي القربى،

و هم: بنو هاشم و بنو المطلب،

حيث كانوا يسوى فيه بين، ذكورهم و إناثهم،

و إنما دخل بنو المطلب في خمس الخمس، مع بني هاشم،

و لم يدخل بقية بني عبد مناف، لأنهم شاركوا بني هاشم في دخولهم الشعب،

حين تعاقدت قريش على هجرهم و عداوتهم فنصروا رسول الله ﷺ

بخلاف غيرهم،

و لهذا قال النبي ﷺ في بني عبد المطلب:

« إنهم لم يفارقوني في جاهلية و لا إسلام »

3- و خمس لفقراء اليتامى، و هم: من لا أب له و لم يبلغ،

4- و خمس للمساكين،

5- و سهم لأبناء السبيل، و هم الغرباء المنقطع بهم في غير أوطانهم.

2904 - عَنْ مَالِكِ بْنِ أَوْسِ بْنِ الْحَدَثَانِ، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

كَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ،

مِمَّا لَمْ يُوجِفِ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ، وَلَا رِكَابٍ،

«فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً سَنَّتِهِ،

ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ فِي السَّلَاحِ وَ الْكِرَاعِ عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ( )

صحيح البخاري

3094 - مَالِكِ بْنِ أَوْسِ بْنِ الْحَدَثَانِ،

وَ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرٍ، - ذَكَرَ لِي ذِكْرًا مِنْ حَدِيثِهِ ذَلِكَ،

فَانطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخَلَ عَلَى مَالِكِ بْنِ أَوْسٍ،

فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ الْحَدِيثِ،

فَقَالَ مَالِكٌ - بَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي أَهْلِي حِينَ مَتَعَ النَّهَارُ،

إِذَا رَسُولُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَأْتِينِي،

(أفاء) من الفياء وهو ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير قتال.

(يوجف) من الإيجاب وهو الإسراع في السير.

(ركاب) الإبل التي يسار عليها.

(خاصة) اختص بها ولم يشاركه فيها أحد.

(الكراع) الخيل.

(عدة في سبيل الله) استعدادا للجهاد والعدة كل ما يعد لحوادث الدهر من سلاح وغيره

فَقَالَ: أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَاذْهَبْ مَعَهُ حَتَّىٰ أَدْخُلَ عَلَيَّ عُمَرَ،  
فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَيَّ رِمَالِ سَرِيرٍ،  
لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ، مُتَكِّئٌ عَلَيَّ وَسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ،  
فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسْتُ،  
فَقَالَ: يَا مَالِكُ، إِنَّهُ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ قَوْمِكَ أَهْلُ أَبْيَاتٍ،  
وَ قَدْ أَمَرْتُ فِيهِمْ بِرِضْخٍ، فَاقْبِضْهُ فَاقْسِمْهُ بَيْنَهُمْ،  
فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ أَمَرْتَ بِهِ غَيْرِي،  
قَالَ: اقْبِضْهُ أَيُّهَا الْمَرْءُ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَهُ أَتَاهُ حَاجِبُهُ يَرْفَأُ،  
فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي عُثْمَانَ، وَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَ الزُّبَيْرِ،  
وَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ يَسْتَأْذِنُونَ؟  
قَالَ: نَعَمْ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَدَخَلُوا، فَسَلَّمُوا وَجَلَسُوا،  
ثُمَّ جَلَسَ يَرْفَأُ يَسِيرًا، ثُمَّ قَالَ: هَلْ لَكَ فِي عَلِيٍّ، وَ عَبَّاسٍ؟  
قَالَ: نَعَمْ، فَأَذِنَ لَهُمَا، فَدَخَلَا، فَسَلَّمَا فَجَلَسَا،  
فَقَالَ عَبَّاسٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اقْبِضْ بَيْنِي وَ بَيْنَ هَذَا،  
وَ هُمَا يَخْتَصِمَانِ فِيمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِنْ مَالِ بَنِي النَّضِيرِ،  
فَقَالَ الرَّهْطُ، عُثْمَانُ وَ أَصْحَابُهُ:  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْبِضْ بَيْنَهُمَا،  
وَ أَرِحْ أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخَرِ،

قَالَ عُمَرُ: تَيْدِكُمْ أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي بِيَدِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ،  
هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،

قَالَ: «لَا نُورِثُ مَا تَرَكَنَا صَدَقَةً» يُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَفْسَهُ؟  
قَالَ الرَّهْطُ: قَدْ قَالَ: ذَلِكَ، فَأَقْبَلَ عُمَرُ عَلَى عَلِيٍّ، وَ عَبَّاسٍ،  
فَقَالَ: أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ، أَتَعْلَمَانِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَ ذَلِكَ؟  
قَالَا: قَدْ قَالَ ذَلِكَ،

قَالَ عُمَرُ: فَإِنِّي أُحَدِّثُكُمْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ،  
إِنَّ اللَّهَ قَدْ خَصَّ رَسُولَهُ ﷺ فِي هَذَا الْفِيءِ بِشَيْءٍ لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا غَيْرَهُ،  
ثُمَّ قَرَأَ: {وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ} [الحشر: 6]- إِلَى قَوْلِهِ - {قَدِيرٌ}  
[الحشر: 6]، فَكَانَتْ هَذِهِ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ،  
وَ اللَّهُ مَا احْتَازَهَا دُونَكُمْ، وَ لَا اسْتَأْثَرَ بِهَا عَلَيْكُمْ،  
قَدْ أَعْطَاكُمْوهَا وَ بَثَّهَا فِيكُمْ، حَتَّى بَقِيَ مِنْهَا هَذَا الْمَالُ،  
فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً سَنَّتِهِمْ مِنْ هَذَا الْمَالِ،  
ثُمَّ يَأْخُذُ مَا بَقِيَ، فَيَجْعَلُهُ مَجْعَلَ مَالِ اللَّهِ،

فَعَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ حَيَاتَهُ،  
أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ، هَلْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ؟  
قَالُوا: نَعَمْ،

ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ، وَ عَبَّاسٍ، أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ، هَلْ تَعْلَمَانِ ذَلِكَ؟

قَالَ عُمَرُ: ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ،  
 فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَبَضَهَا أَبُو بَكْرٍ،  
 فَعَمَلَ فِيهَا بِمَا عَمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،  
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ: إِنَّهُ فِيهَا لَصَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ،  
 ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ، فَكُنْتُ أَنَا وَلِيُّ أَبِي بَكْرٍ،  
 فَقَبَضْتُهَا سَتَيْنِ مِنْ إِمَارَتِي، أَعْمَلُ فِيهَا بِمَا عَمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،  
 وَمَا عَمَلَ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ:  
 إِنِّي فِيهَا لَصَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ،  
 ثُمَّ جِئْتُمَانِي ذُكْمَانِي، وَكَلِمَتُكُمَا وَاحِدَةٌ، وَآمْرُكُمَا وَاحِدٌ،  
 جِئْتَنِي يَا عَبَّاسُ، تَسْأَلْنِي نَصِيبَكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ،  
 وَجَاءَنِي هَذَا - يُرِيدُ عَلِيًّا - يُرِيدُ نَصِيبَ امْرَأَتِهِ مِنْ أَبِيهَا،  
 فَقُلْتُ لَكُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:  
 «لَا نُورَثُ، مَا تَرَكَنَا صَدَقَةٌ»،  
 فَلَمَّا بَدَأَ لِي أَنْ أَدْفَعَهُ إِلَيْكُمَا،  
 قُلْتُ: إِنَّ شِئْتُمَا دَفَعْتُمَا إِلَيْكُمَا، عَلَى أَنْ عَلَيَكُمَا عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ:  
 لَتَعْمَلَانَ فِيهَا بِمَا عَمَلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،  
 وَمَا عَمَلَ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ،  
 وَمَا عَمَلْتُ فِيهَا مُنْذُ وَلَيْتُهَا،

فَقُلْتُمَا: اذْفَعَهَا إِلَيْنَا، فَبَدَلِكَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا،  
فَأَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ، هَلْ دَفَعْتُهَا إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ؟  
قَالَ الرَّهْطُ: نَعَمْ،  
ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ، وَعَبَّاسٍ،  
فَقَالَ: أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ، هَلْ دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا بِذَلِكَ؟  
قَالَا: نَعَمْ، قَالَ: فَتَلْتَمِسَانِ مِنِّي قَضَاءَ غَيْرِ ذَلِكَ،  
فَوَاللَّهِ الَّذِي بِيَدِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ،  
لَا أَقْضِي فِيهَا قَضَاءَ غَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنْ عَجَزْتُمَا عَنْهَا فَادْفَعَاهَا إِلَيَّ،  
فَإِنِّي أَكْفِيكُمَاهَا ( )

(ذكر) شيئاً منه.

(متع النهار) ارتفع وطال ارتفاعه وذلك قبل الزوال.

(رمال سرير) ما ينسج من ورق النخيل ليضغط عليه.

(أدم) جلد.

(يا مال) مرخم يا مالك والترخيم حذف آخر الاسم تخفيفاً.

(برضخ) عطية قليلة غير مقدرة.

(هل لك في عثمان .) هل لك إذن فيهم ورغبة في دخولهم.

(تيدكم) اسم فعل بمعنى اصبروا واتتدوا.

(أنشدكم) أسألكم.

(هذا الأمر) هذه المسألة وهي العمل في تركة رسول الله ﷺ.

(قرأ) أي عمر رضي الله عنه وتتمة الآية

{فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء

قدير} / الحشر 6 /.

## \*راجع سورة الانفال

و إنما قدر الله هذا التقدير، و حصر الفيء في هؤلاء المعينين لـ

{كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً}

أي: مداولة و اختصاصا

بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ

فإنه لو لم يقدره، لتداولته الأغنياء الأقوياء

\*\*\*يتصرفون فيها بمحض الشهوات و الاهواء،

و لما حصل لغيرهم من العاجزين منه شيء،

---

(أفاء) من الفيء وهو ما يغنمه المسلمون من أعدائهم بدون قتال.

(أوجفتم) من الإيجاف وهو السير السريع.

(ركاب) الإبل التي يركب عليها أي فما حصلتموه بالقتال ولكن الله تعالى سلط رسوله عليهم

وهزمهم.

(ما احتازها دونكم) ما جمعها واستأثر بها وحده بل كان لكم منها نصيب.

(استأثر) استبد و تخصص.

(بثها فيكم) فرقها عليكم.

(هذا المال) الذي هو نصيب رسول الله ﷺ.

(ولي) وصيه الذي يتولى أموره من بعده.

(بار) محسن صادق وفي من البر وهو الإحسان.

[فتلتمسان) تطلبان]

---

و في ذلك من الفساد، ما لا يعلمه إلا الله،  
كما أن في اتباع أمر الله و شرعه من المصالح ما لا يدخل تحت الحصر،  
و لذلك أمر الله بالقاعدة الكلية و الأصل العام،

فقال: **{ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا }**<sup>٤</sup>

\*\*\*صحيح البخاري (4886)

-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعود

قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُوتَشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ

وَالْمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ»

فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ،

فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ،

فَقَالَ: وَمَا لِي أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ،

فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللُّوْحَيْنِ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ،

قَالَ: لَئِنْ كُنْتُ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ،

أَمَا قَرَأْتِ: **{ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا }** [الحشر: 7]؟

قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ، قَالَتْ: فَإِنِّي أَرَى أَهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ،

قَالَ: فَادْهَبِي فَاَنْظُرِي، فَذَهَبَتْ فَانْظَرَتْ، فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا شَيْئًا،

فَقَالَ: لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ مَا جَامَعْتُهَا ( )

صحيح البخاري

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:  
«دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ،

إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ،  
فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ،

(الواشحات) جمع واشمة اسم فاعلة من الوشم وهو غرز إبرة أو نحوها في الجلد حتى  
يسيل منه الدم ثم يحشى الموضع بكحل أو نحوه فيتلون الجلد ولا يزول بعد ذلك أبدا.  
(الموتشحات) جمع موتشمة وهي التي يفعل فيها الوشم.  
(المتنمصات) جمع متنمصاة وهي التي تطلب إزالة شعر وجهها وشفاه والتي تزيله وتنتفه  
تسمى نامصة.

(المتفلجات) جمع متفلجة وهي التي تبرد أسنانها لتفترق عن بعضها.  
(للحسن) لأجل الجمال.

(المغيرات خلق الله) بما سبق ذكره لأنه تغيير وتزوير.

(كيت وكيت) كناية عن كلام قيل.

(ما بين اللوحين) أي القرآن المكتوب ما بين دفتي المصحف.

(آتاكم) أمركم به.

(فلم تر من حاجتها) لم تشاهد أم يعقوب من الذي ظنته في زوج ابن مسعود رضي الله عنهما  
شيئا.

(ما جامعتنا) ما صاحبتنا بل كنا نطلقها ونفارقها وفي نسخة

(ما جامعتها) والمعنى واحد]

وَإِذَا أَمَرْتُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» ( )

و هذا شامل لأصول الدين و فروعه، ظاهره و باطنه،

و أن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به و اتباعه،  
و لا تحل مخالفته،

و أن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى،

لا رخصة لأحد و لا عذر له في تركه،

و لا يجوز تقديم قول أحد على قوله،

ثم أمر بتقواه التي بها عمارة القلوب و الأرواح و الدنيا و الآخرة ،

و بها السعادة الدائمة و الفوز العظيم،

و بإضاعتها الشقاء الأبدي و العذاب السرمدى، فقال:

**{وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }<sup>ط</sup>**

(دعوني) اتركوني ولا تسألوني.

(بسؤالهم) كثرة أسئلتهم.

(ما استطعتم) قدر استطاعتكم بعد الإتيان بالقدر الواجب الذي لا بد منه.

قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم هذا من قواعد الإسلام

و من جوامع الكلم التي أعطيها ﷺ ويدخل فيه ما لا يحصى من الأحكام]

على من ترك التقوى، و أثر اتباع الهوى.

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ  
وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ  
وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا  
أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ مَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ  
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

ثم ذكر تعالى الحكمة و السبب الموجب لجعله تعالى الأموال أموال الفيء  
لمن قدرها له، -

1- و أنهم حقيقون بالإعانة، مستحقون لأن تجعل لهم،

2- و أنهم ما بين مهاجرين قد هجروا المحبوبات و المألوفات،

من الديار و الأوطان و الأحباب و الخلان و الأموال

رغبة في الله و نصره لدين الله، و محبة لرسول الله،

فهؤلاء هم الصادقون الذين عملوا بمقتضى إيمانهم،

و صدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة و العبادات الشاقة،

بخلاف من ادعى الإيمان

و هو لم يصدقه بالجهاد و الهجرة و غيرهما من العبادات،  
و بين أنصار وهم الأوس والخزرج الذين آمنوا بالله و رسوله طوعا و محبة  
و اختيارا،

و آووا رسول الله ﷺ، و منعه من الأحمر و الأسود،

**{ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ }**

دار الهجرة والإيمان حتى صارت موثلا و مرجعا يرجع إليه المؤمنون،  
و يلجأ إليه المهاجرون،

\*\*\*سكنوا المدينة قبل المهاجرين و آمنوا قبل كثير منهم  
○ و يسكن بحماه المسلمون إذ كانت البلدان كلها بلدان حرب و شرك  
و شر،

فلم يزل أنصار الدين تأوي إلى الأنصار، حتى انتشر الإسلام و قوي،  
و جعل يزيد شيئا شيئا فشيئا، و ينمو قليلا قليلا  
حتى فتحو القلوب بالعلم و الإيمان و القرآن، و البلدان بالسيف و السنان.  
الذين من جملة أوصافهم الجميلة  
\*\*\*صحيح البخاري

وَ قَالَ عُمَرُ أَوْصِيَ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي، بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ،  
أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَ يَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ،  
وَ أَوْصِيهِ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا،

{الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ}

أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَ أَنْ يُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ

{ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ }

و هذا لمحبتهم لله و لرسوله، أحبوا أحبائه، و أحبوا من نصر دينه.

{وَلَا يَحِدُّونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا}

أي: لا يحسدون المهاجرين على ما آتاهم الله من فضله  
و خصهم به من الفضائل و المناقب التي هم أهلها،

و هذا يدل على سلامة صدورهم، و انتفاء الغل و الحقد و الحسد عنها.  
و يدل ذلك على أن المهاجرين، أفضل من الأنصار، لأن الله قدمهم بالذكر،

و أخبر أن الأنصار لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا،  
فدل على أن الله تعالى آتاهم ما لم يؤت الأنصار و لا غيرهم،  
و لأنهم جمعوا بين النصر و الهجرة. و قوله:

{وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}

أي: و من أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم،

و تميزوا بها على من سواهم:

الإيثار، و هو أكمل أنواع الجود،

و هو الإيثار بمحاب النفس من الأموال و غيرها،

و بذلها للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة و الخصاصة،

و هذا لا يكون إلا من خلق زكي، و محبة لله تعالى مقدمة على محبة شهوات النفس ولذاتها،

و من ذلك قصة الأنصاري الذي نزلت الآية بسببه،

حين آثر ضيفه بطعامه و طعام أهله و أولاده و باتوا جياعا،

و الإيثار عكس الأثرة،

فالإيثار محمود، و الأثرة مذمومة، لأنها من خصال البخل و الشح،

و من رزق الإيثار فقد وقى شح نفسه

\*الصحيح المسند من أسباب النزول

\*\*\*صحيح البخاري

3798 - حَدَّثَنَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم،

فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ،  
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:  
 «مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا»،  
 فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا، فَاَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ،  
 فَقَالَ: أَكْرَمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،  
 فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صَبْيَانِي،  
 فَقَالَ: هَيْئِي طَعَامَكَ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكَ،  
 وَنَوْمِي صَبْيَانِكَ إِذَا أَرَادُوا عِشَاءً  
 فَهَيَّاتِ طَعَامَهَا، وَأَصْبِحْتِ سِرَاجَهَا، وَنَوِّمْتِ صَبْيَانَهَا،  
 ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصَلِّحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانَهُ أَنَّهُمَا  
 يَأْكُلَانِ،  
 فَبَاتَا طَاوِيئِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،  
 فَقَالَ: «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا»

فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحًّا  
 نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر:9] (□)

(رجل) هو أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه.  
 (أصبحي) أوقدي ونوري.  
 (يريانه) من الإراءة أي يتظاهران بذلك.  
 (يؤثرون) يختارون ويفضلون.  
 (خصاصة) حاجة.

(يوق شح نفسه) يخالف هواها ويغلبها على ما أمرته بتوفيق الله وعونه من الوقاية وهي  
 الحفظ والشح والبخل والحرص.

## { وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }

و وقاية شح النفس، يشمل وقايتها الشح، في جميع ما أمر به، فإنه إذا وقى العبد شح نفسه، سمحت نفسه بأوامر الله و رسوله، ففعلها طائعا منقادا، منشرحاً بها صدره، و سمحت نفسه بترك ما نهى الله عنه، و إن كان محبوبا للنفس، تدعو إليه، و تطلع إليه، و سمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله و ابتغاء مرضاته، و بذلك يحصل الفلاح والفوز، بخلاف من لم يوق شح نفسه، بل ابتلي بالشح بالخير، الذي هو أصل الشر و مادته، فهذان الصنفان، الفاضلان الزكيان هم الصحابة الكرام و الأئمة الأعلام، الذين حازوا من السوابق و الفضائل و المناقب ما سبقوا به من بعدهم، و أدركوا به من

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا

بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾

﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن

أَخْرَجْتُمْنَا لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ

إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِن أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَيَنْصُرُوهُمْ وَلَئِن نَصَرُوهُمْ

لَيُؤْتُوا الْأَذْبُرَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَأَيُقْتَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ

وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا

يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾

كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ

رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا

بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾

\*\*\*كقوله {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: 100]

فالتابعون لهم باحسان هم المتبعون آثارهم الحسنة و اوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر و العلانية و حسب من بعدهم من الفضل أن يسير خلفهم، و يأتهم بهداهم، و لهذا ذكر الله من اللاحقين، من هو مؤتم بهم و سائر خلفهم فقال:

{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ}

أي: من بعد المهاجرين و الأنصار

(يَقُولُونَ)

على وجه النصح لأنفسهم و لسائر المؤمنين:

{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ}

و هذا دعاء شامل لجميع المؤمنين، السابقين من الصحابة و من قبلهم و من بعدهم، و هذا من فضائل الإيمان أن المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض، و يدعو بعضهم لبعض، بسبب المشاركة في الإيمان المقتضي لعقد الأخوة بين المؤمنين التي من فروعها أن يدعو بعضهم لبعض، و أن يحب بعضهم بعضا.

## {وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا}

و لهذا ذكر الله في الدعاء نفي الغل عن القلب، الشامل لقليل الغل و كثيره ،  
الذي إذا انتفى ثبت ضده،

و هو المحبة بين المؤمنين و الموالاتة و النصح،

و نحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين.

فوصف الله من بعد الصحابة بالإيمان، لأن قولهم:

## {سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ}

دليل على المشاركة في الإيمان ،

و أنهم تابعون للصحابة في عقائد الإيمان و أصوله،

و هم أهل السنة و الجماعة،

الذين لا يصدق هذا الوصف التام إلا عليهم،

و وصفهم بالإقرار بالذنوب و الاستغفار منها، و استغفار بعضهم لبعض،

## {وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا}

و اجتهادهم في إزالة الغل و الحقد عن قلوبهم لإخوانهم المؤمنين،

لأن دعاءهم بذلك مستلزم لما ذكرنا، و متضمن لمحبة بعضهم بعضا،

و أن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه،

و أن ينصح له حاضرا و غائبا، حيا و ميتا،

و دلت الآية الكريمة على أن هذا من جملة حقوق المؤمنين بعضهم لبعض،

{ رَبَّنَا إِنَّكَ رءُوفٌ رَحِيمٌ }

ثم ختموا دعاءهم باسمين كريمين، دالين على كمال رحمة الله و شدة رأفته و إحسانه بهم، الذي من جملته،

بل من أجله، توفيقهم للقيام بحقوق الله و حقوق عباده.

فهؤلاء الأصناف الثلاثة هم أصناف هذه الأمة،

و هم المستحقون للفيء الذي مصرفه راجع إلى مصالح الإسلام.

و هؤلاء أهله الذين هم أهله، جعلنا الله منهم، بمنه وكرمه.

❖ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن

أَخْرَجْتُم لَنَخْرُجُنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ

إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ )

○ ثم تعجب تعالى من حال المنافقين

\*\*\*كعبد الله بن أبي الذين طمعوا إخوانهم

من أهل الكتاب، في نصرتهم، و موالاتهم على المؤمنين، و أنهم يقولون لهم:

{ لَئِن أَخْرَجْتُم لَنَخْرُجُنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا }

أي: لا نطيع في عدم نصرتكم أحدا يعدلنا أو يخوفنا،

{ وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ }

في هذا الوعد الذي غروا به إخوانهم.  
و لا يستكثر هذا عليهم،  
فإن الكذب وصفهم، و لغرور و الخداع مقارنهم، و النفاق و الجبن يصحبهم،  
و لهذا كذبهم الله بقوله، الذي وجد مخبره كما أخبر الله به،  
و وقع طبق ما قال، فقال:

**{ لَيْنٌ أُخْرِجُوا }**

من ديارهم جلاء و نفيا

**{ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ }**

لمحبتهم للأوطان، و عدم صبرهم على القتال، و عدم وفائهم بوعدهم .

**{ وَلَيْنَ قُوَّةٌ لَّأَيُّسُرُونَهُمْ }**

بل يستولي عليهم الجبن، و يملكهم الفشل،  
و يخذلون إخوانهم، أحوج ما كانوا إليهم.

**{ وَلَيْنَ نَصْرٌ وَهُمْ }**

على الفرض و التقدير

**{ لَيُؤَلِّبُ الْأَذْبُرَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ }**

أي: ليحصل منهم الإدبار عن القتال و النصر،

و لا يحصل لهم نصر من الله.

و السبب الذي أوجب لهم ذلك أنكم - أيها المؤمنون -  
\*\*\* و هذه بشارة مستقلة بنفسها

{لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ} <sup>ع</sup>

فخافوا منكم أعظم مما يخافون الله،

و قدموا مخافة المخلوق الذي لا يملك لنفسه و لا لغيره نفعا و لا ضرا،  
على مخافة الخالق، الذي بيده الضر و النفع، و العطاء و المنع.

\*\*\* كقوله {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ  
خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ  
الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا}

[النساء: 77]

لذا قال الله تعالى {بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ}

مراتب الأمور، و لا يعرفون حقائق الأشياء، و لا يتصورون العواقب،  
و إنما الفقه كل الفقه، أن يكون خوف الخالق و رجاؤه و محبته  
مقدمة على غيرها، و غيرها تبعا لها.

لَا يَقْنِنُوكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَىٰ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ <sup>ع</sup>

تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ <sup>ع</sup>



**{ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا }**

أي: في حال الاجتماع

\*\*\*من جنبهم و هلعهم لا يقدرّون علي مواجهة جيش الاسلام

**{ إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ }**

أي: لا يشتون لقتالكم و لا يعزمون عليه،

إلا إذا كانوا متحصنين في القرى،

أو من وراء الجدر والأسوار.

فإنهم إذ ذاك ربما يحصل منهم امتناع، اعتمادا على حصونهم و جدرهم،

لا شجاعة بأنفسهم، و هذا من أعظم الذم،

**{ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ }**

\*الميسر: عداوتهم

أي: بأسهم فيما بينهم شديد، لا آفة في أبدانهم و لا في قوتهم،

و إنما الآفة في ضعف إيمانهم و عدم اجتماع كلمتهم،

و لهذا قال: **{ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا }**

حين تراهم مجتمعين و متظاهرين.

**{ و } لكن**

{ وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى }

أي: متباغضة متفرقة متشتتة.

{ ذَلِكَ }

الذي أوجب لهم اتصافهم بما ذكر

{ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ }

أي: لا عقل عندهم، و لا لب، فإنهم لو كانت لهم عقول،

لآثروا الفاضل على المفضول،

و لما رضوا لأنفسهم بأبخس الخطتين،

و لكانت كلمتهم مجتمعة، و قلوبهم مؤتلفة،

فبذلك يتناصرون و يتعاضدون،

و يتعاونون على مصالحهم و منافعهم الدينية و الدنيوية.

مثل هؤلاء المخذولين من أهل الكتاب،

الذين انتصر الله لرسوله منهم

و أذقهم الخزي في الحياة الدنيا،

و عدم نصر من وعدهم بالمعاونة

{ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ }

و هم كفار قريش الذين زين لهم الشيطان أعمالهم، وقال:

{ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ  
لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى  
مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [الأنفال: 48]

فغررتهم أنفسهم، و غرهم من غرهم، الذين لم ينفعوهم،

و لم يدفعوا عنهم العذاب،

حتى أتوا « بدرًا » بفخرهم وخيلائهم،

ظانين أنهم مدركون برسول الله و المؤمنين أمانيتهم.

فنصر الله رسوله و المؤمنين عليهم،

فقتلوا كبارهم و صناديدهم، و أسروا من أسروا منهم، و فر من فر،

و ذاقوا بذلك وبال أمرهم و عاقبة شركهم و بغيهم، هذا في الدنيا،

**(وَهُمْ عَذَابِ أَلِيمٌ)**

في الآخرة عذاب النار.

و مثل هؤلاء المنافقين الذين غرروا إخوانهم من أهل الكتاب

**كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ**

**إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾**

**{ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ }**

أي: زين له الكفر و حسنه و دعاه إليه، فلما اغتر به و كفر،  
و حصل له الشقاء، لم ينفعه الشيطان، الذي تولاه ودعاه إلى ما دعاه إليه،  
بل تبرأ منه و

**{ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ }**

أي: ليس لي قدرة على دفع العذاب عنك،  
و لست بمغن عنك مثقال ذرة من الخير.

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾  
 وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي  
 أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ  
 عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ  
 لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ  
 الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ  
 الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ  
 اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ  
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾

{ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا }

أي: الداعي الذي هو الشيطان،

و المدعو الذي هو الإنسان حين أطاعه

{ أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا } كما قال تعالى:

[إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ]

الذين اشتركوا في الظلم و الكفر،  
و إن اختلفوا في شدة العذاب و قوته،  
و هذا دأب الشيطان مع كل أوليائه،  
فإنه يدعوهم و يديهم إلى ما يضرهم بغرور،  
حتى إذا وقعوا في الشباك،  
و حاقت بهم أسباب الهلاك، تبرأ منهم و تخلى عنهم.  
و اللوم كل اللوم على من أطاعه، فإن الله قد حذر منه و أندر،  
و أخبر بمقاصده و غايته و نهايته،  
فالمقدم على طاعته، عاص على بصيرة لا عذر له.

(وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ )

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا  
تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ  
﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾  
لَوْ أَرْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِعًا مَّتَّصِدًا عَا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ  
نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

\*\*\* صحيح مسلم -1017

عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:  
كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ،

قَالَ : فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النَّارِ أَوْ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ،  
عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ

فَتَمَعَّرَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ،  
فَأَمَرَ بِإِلَاقَةِ فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ [النساء: 1]

إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1]

وَالْآيَةِ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: {اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ}

[الحشر: 18]

«تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِيَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ،

مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»

قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بَصْرَةَ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ،

قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ،

حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ،

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «

مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً،

فَلَهُ أَجْرُهَا، وَ أَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا بَعْدَهُ،

مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ،

وَ مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً،

كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَ وَزْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ،

مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» ( )

(مجتابي النمار) نصب على الحالية أي لابسيها خارقين أوساطها مقورين يقال اجتبت القميص أي دخلت فيه والنمار جمع نمرة وهي ثياب صوف فيها تنمير وقيل هي كل شملة مخططة من مآزر الأعراب كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض أراد أنه جاءه قوم لابسي أزر مخططة من صوف (العباء) بالمد وبفتح العين جمع عباءة وعباية لغتان نوع من الأكسية (فتعمر) أي تغير

(كومين) هو بفتح الكاف وضمها قال القاضي ضبطه بعضهم بالفتح وبعضهم بالضم قال ابن سراج هو بالضم اسم لما كوم وبالفتح المرة الواحدة قال والكومة بالضم الصبرة والكوم العظيم من كل شيء والكوم المكان المرتفع كالرابية قال القاضي فالفتح هنا أولى لأن مقصوده الكثرة والتشبيه بالرابية

(يتهلل) أي يستنير فرحا وسرورا

(مذهبة) ضبطه بوجهين أحدهما وهو المشهور وبه جزم القاضي والجمهور مذهبة والثاني ولم يذكر الحميدي في الجمع بين الصحيحين غيره مدهنة وقال القاضي عياض في المشارق وغيره من الأئمة هذا تصحيف

وذكر القاضي وجهين في تفسيره أحدهما معناه فضة مذهبة فهو أبلغ في حسن الوجه وإشراقه والثاني شبهه في حسنه ونوره بالمذهبة من الجلود وجمعها مذاهب وهي شيء كانت العرب تصنعه من جلود وتجعل فيها خطوط مذهبة يرى بعضها إثر بعض]

## { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ }

يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يوجبه الإيمان و يقتضيه من لزوم تقواه،  
سرا و علانية، في جميع الأحوال،  
و أن يراعوا ما أمرهم الله به من أوامره و شرائعه و حدوده،

## { وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ<sup>ط</sup> }

و ينظروا ما لهم و ما عليهم،  
و ماذا حصلوا عليه من الأعمال التي تنفعهم أو تضرهم  
في يوم القيامة، فإنهم إذا جعلوا الآخرة نصب أعينهم و قبلة قلوبهم،  
و اهتموا بالمقام بها، اجتهدوا في كثرة الأعمال الموصلة إليها،  
و تصفيتها من القواطع و العوائق التي توقفهم عن السير أو تعوقهم أو  
تصرفهم،

\*\*\*حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا

## { وَاتَّقُوا اللَّهَ<sup>ع</sup> }

وإذا علموا أيضا،

## { إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ }

لا تخفى عليه أعمالهم، و لا تضيع لديه و لا يهملها،  
أوجب لهم الجد و الاجتهاد.

و هذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه

و أنه ينبغي له أن يتفقدتها،  
فإن رأى زللا تداركه بالإقلاع عنه، و التوبة النصوح،  
و الإعراض عن الأسباب الموصلة إليه،  
و إن رأى نفسه مقصرا في أمر من أوامر الله، بذل جهده  
و استعان بربه في تكميله و تميمه، و إتقانه،  
و يقايس بين ممن الله عليه و إحسانه و بين تقصيره،  
فإن ذلك يوجب له الحياء بلا محالة.

**{ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ }**

و الحرمان كل الحرمان، أن يغفل العبد عن هذا الأمر،  
و يشابه قوما نسوا الله  
و غفلوا عن ذكره و القيام بحقه،  
و أقبلوا على حظوظ أنفسهم و شهواتها،  
فلم ينجحوا، و لم يحصلوا على طائل،

**{ فَأَنسَهُمْ أَنفُسَهُمْ }**

بل أنساهم الله مصالح أنفسهم،  
و أغفلهم عن منافعها و فوائدها، فصار أمرهم فرطا، فرجعوا بخسارة الدارين،  
و غبنوا غبنا، لا يمكنهم تداركه، و لا يجبر كسره،  
\*\*\*فالجزاء من جنس العمل

{أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}

لأنهم هم الفاسقون، الذين خرجوا عن طاعة ربهم  
و أوضاعوا في معاصيه،

فهل يستوي من حافظ على تقوى الله و نظر لما قدم لغده،

فاستحق جنات النعيم، و العيش السليم -

مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين -

و من غفل عن ذكر الله، و نسي حقوقه، فشقي في الدنيا،

و استحق العذاب في الآخرة، فالأولون هم الفائزون، و الآخرون هم الخاسرون.

\*\*\* {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ

يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المنافقون: 9]

{لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ}

\*\*\*كقوله { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الجمعة: 21]

{أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ}

هم الناجون المسلمون من عذاب الله

لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ

نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ

(لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ)

و لما بين تعالى لعباده ما بين، و أمرهم ونهاهم في كتابه العزيز،  
كان هذا موجبا لأن يبادروا إلى ما دعاهم إليه و حثهم عليه،  
و لو كانوا في القسوة و صلابة القلوب كالجبال الرواسي،  
فإن هذا القرآن لو أنزله على جبل

{لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}

أي: لكمال تأثيره في القلوب،

فإن مواعظ القرآن أعظم المواعظ على الإطلاق،

و أوامره و نواهيه محتوية على الحكم و المصالح المقرونة بها،  
و هي من أسهل شيء على النفوس،

و أيسرها على الأبدان، خالية من التكلف لا تناقض فيها و لا اختلاف،  
و لا صعوبة فيها و لا اعتساف، تصلح لكل زمان و مكان، و تليق لكل أحد.

\*\*\* فَإِنْ كَانَ الْجَبَلُ فِي غِلْظَتِهِ وَقَسَاوَتِهِ،

لَوْ فَهِمَ هَذَا الْقُرْآنَ فَتَدَبَّرَ مَا فِيهِ،

لَخَشَعَ وَتَصَدَّعَ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ،

فَكَيْفَ يَلِيْقُ بِكُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ إِلَّا تَلِينَ قُلُوبُكُمْ وَتَخْشَعُ،

وَ تَتَصَدَّعُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ،

وَ قَدْ فَهَمْتُمْ عَنِ اللَّهِ أَمْرَهُ وَ تَدَبَّرْتُمْ كِتَابَهُ؟ وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى:

{وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} .

وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى

[الرَّعْدُ: 31]

{وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ

وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} [البقرة: 74] .

{وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} .

ثم أخبر تعالى أنه يضرب للناس الأمثال،

و يوضح لعباده في كتابه الحلال و الحرام

لأجل أن يتفكروا في آياته و يتدبروها،

فإن التفكير فيها يفتح للعبد خزائن العلم،

و يبين له طرق الخير و الشر،

و يحثه على مكارم الأخلاق، و محاسن الشيم،

و يزرجه عن مساوئ الأخلاق،

فلا أنفع للعبد من التفكير في القرآن و التدبر لمعانيه.

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ

الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ

الْمُتَكَبِّرِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

{ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ }

هذه الآيات الكريمة قد اشتملت على كثير من أسماء الله الحسنی و أوصافه العلی، عظيمة الشأن، و بديعة البرهان،

فأخبر أنه الله المألوه المعبود، {الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}

و ذلك لكماله العظيم، و إحسانه الشامل، و تدبيره العام،

و كل إله سواه فإنه باطل لا يستحق من العبادة مثقال ذرة،

لأنه فقير عاجز ناقص، لا يملك لنفسه و لا لغيره شيئاً،

ثم وصف نفسه بعموم العلم الشامل

{ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ }

لما غاب عن الخلق و ما يشاهدونه،

{ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ }

و بعموم رحمته التي وسعت كل شيء و وصلت إلى كل حي.

\*\*\*وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} [الأعراف: 156] ،

و قَالَ {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [الأنعام: 54] ،

و قَالَ {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}

## { هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ }

ثم كرر ذكر عموم إلهيته و انفراده بها،  
و أنه المالك لجميع الممالك، فالعالم العلوي و السفلي و أهله،  
الجميع ممالك لله، فقراء مدبرون.  
\*\*\* الْمَالِكُ لِيَجْمَعَ الْأَشْيَاءَ الْمُتَصَرِّفُ فِيهَا بِلَا مَمَانَعَةٍ وَ لَا مُدَافَعَةٍ.  
(الْقُدُّوسُ)

أي: المقدس السالم من كل عيب و آفة و نقص، المعظم الممجّد  
لأن القدوس يدل على التنزيه عن كل نقص، و التعظيم لله في أوصافه و جلاله.  
\*\*\* قَالَ وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: أَيُّ الطَّاهِرِ  
وَ قَالَ مُجَاهِدٌ، وَ قَتَادَةُ: أَيُّ الْمُبَارَكِ:  
وَ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: تَقَدَّسَهُ الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ.

## { السَّلَامُ }

أي: من جميع العيوب و النقصان؛ بكماله في ذاته و صفاته و أفعاله.  
(الْمُؤْمِنُ)

أي: المصدق لرسله و أنبيائه بما جاءوا به، بالآيات البينات، و البراهين  
القاطعات، و الحجج الواضحات.  
\*\*\* قَالَ الضَّحَّاكُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:  
أَيُّ أَمَّنْ خَلَقَهُ مِنْ أَنْ يظَلِمَهُمْ.

وَ قَالَ قَتَادَةُ: أَمَّنَ بِقَوْلِهِ: إِنَّهُ حَقٌّ.  
وَ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: صَدَقَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِيْمَانِهِمْ بِهِ.

### { الْمَهْيَبَاتُ }

الشَّاهِدُ عَلَى خَلْقِهِ بِأَعْمَالِهِمْ، مَعْنَى: هُوَ رَقِيبٌ عَلَيْهِمْ،  
هُوَ لَهُ: { وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } [البُرُوج: 9] ،  
وَ قَوْلُهُ { ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ } [يُونُس: 46] .  
وَ قَوْلُهُ: { أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ } [الرَّعْد: 33] .

### (الْمَزِينُ)

الذي لا يغالب و لا يمانع، بل قد قهر كل شيء، و خضع له كل شيء،

### (الْجَبَّارُ)

الذي قهر جميع العباد،  
و أذعن له سائر الخلق، الذي يجبر الكسير، و يغني الفقير،  
\*\*\*الَّذِي جَبَرَ خَلْقَهُ عَلَى مَا يَشَاءُ.  
المصلح أمور خلقه، المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم

### (الْمُتَكَبِّرُ<sup>٤</sup>)

الذي له الكبرياء و العظمة، المتنزه عن جميع العيوب و الظلم و الجور.  
\*\*\*الْمُتَكَبِّرُ: يَغْنِي عَن كُلِّ سُوءٍ.  
\*\*\* صحيح مسلم

(2620) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكَبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يِنَازِعُنِي عَدْبَتُهُ»

(سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ)

و هذا تنزيه عام عن كل ما وصفه به من أشرك به وعانده.

(هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ)

لجميع المخلوقات

(الْبَارِئُ)

للمبروءات

(الْمُصَوِّرُ)

للمصورات،

و هذه الأسماء متعلقة بالخلق و التدبير و التقدير،

و أن ذلك كله قد انفرد الله به، لم يشاركه فيه مشارك.

\*\*\*أي: الَّذِي إِذَا أَرَادَ شَيْئًا قَالَ لَهُ: كُنْ، فَيَكُونُ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي يُرِيدُ،  
وَ الصُّورَةَ الَّتِي يَخْتَارُ.

قَوْلِهِ: { فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ } [الْإِنْفِطَارِ: 8]

وَ لِهَذَا قَالَ: { الْمُصَوِّرُ } أَي:

الَّذِي يَنْفِذُ مَا يُرِيدُ إِجَادَهُ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي يريدها.

\*\*\*الْخَلْقُ: التَّقْدِيرُ

وَ الْبَرُّ: هُوَ الْفَرِيُّ، وَ هُوَ التَّنْفِيزُ وَ إِبْرَازُ مَا قَدَّرَهُ وَ قَرَّرَهُ إِلَى الْوُجُودِ،

وَ لَيْسَ كُلُّ مَنْ قَدَّرَ شَيْئًا وَ رَبَّهُ يَقْدِرُ عَلَى تَنْفِيدِهِ وَ إِجَادِهِ سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ الشَّاعِرُ يَمْدَحُ آخَرَ :-

وَ لَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَ بَعْضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي  
أَيُّ: أَنْتَ تُتَّقِدُ مَا خَلَقْتَ، أَيُّ: قَدَّرْتَ، بِخِلَافِ غَيْرِكَ  
فَأِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ مَا يُرِيدُ.

فَالْخَلْقُ: التَّقْدِيرُ.

وَ الْفَرِيُّ: التَّنْفِيدُ.

وَ مِنْهُ يُقَالُ: قَدَّرَ الْجَلَادُ ثُمَّ فَرَى، أَيُّ: قَطَعَ عَلَى مَا قَدَّرَهُ بِحَسَبِ مَا يُرِيدُهُ.

**(لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)**

أَيُّ: لَهُ الْأَسْمَاءُ الْكَثِيرَةُ جَدًّا،

الَّتِي لَا يَحْصِيهَا وَلَا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ هُوَ،

وَ مَعَ ذَلِكَ، فَكُلُّهَا حَسَنَى أَيُّ:

صِفَاتُ كَمَالٍ، بَلْ تَدُلُّ عَلَى أَكْمَلِ الصِّفَاتِ وَ أَعْظَمِهَا،

لَا نَقْصَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا بَوَاجِهُ مِنَ الْوُجُوهِ،

وَ مِنْ حَسَنَاتِهَا أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهَا، وَ يُحِبُّ مِنْ يُحِبُّهَا،

وَ يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَدْعُوهُ وَ يَسْأَلُوهُ بِهَا.

وَ مِنْ كَمَالِهَا، وَ أَنَّ لَهُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى، وَ الصِّفَاتِ الْعُلْيَا،

أَنَّ جَمِيعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ مُفْتَقِرُونَ إِلَيْهِ عَلَى الدَّوَامِ،

يسبحون بحمده، و يسألونه حوائجهم،  
فيعطيه من فضله و كرمه ما تقتضيه رحمته و حكمته،

\*\*\*صحيح مسلم

(2677) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:  
«لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ  
وَإِنَّ اللَّهَ وَتَرٌّ، يُحِبُّ الْوِتْرَ»  
وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي عُمَرَ: «مَنْ أَحْصَاهَا» ( )

**{تُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ط}**

\*\*\*كقوله {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا

**تُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**

[الإسراء: 44]

(وإن الله وتر يحب الوتر)

الوتر الفرد ومعناه في حق الله تعالى الواحد الذي لا شريك له ولا نظير  
ومعنى يحب الوتر تفضيل الوتر في الأعمال وكثير من الطاعات  
فجعل الصلاة خمسا والطهارة ثلاثا ثلاثا والطواف سبعا والسعي سبعا ورمي الجمار سبعا  
وأيام التشريق ثلاثا والاستنجاء ثلاثا وكذا الأكفان  
وفي الزكاة خمسة أوسق وخمس أواق من الورق ونصاب الإبل وغير ذلك  
وجعل كثيرا من عظيم مخلوقاته وترا منها السموات والأرضون والبحار وأيام الأسبوع وغير  
ذلك

(من أحصاها) معناه حفظها وهذا هو الأظهر لأنه جاء مفسرا في الرواية الأخرى من حفظها  
وقيل أحصاها عدها في الدعاء بها وقيل أطاقها أي أحسن المراعاة لها والمحافظة على ما  
تقتضيه وصدق بمعانيها والصحيح الأول]

{وَهُوَ الْعَزِيزُ}

فلا يرام جنابه

{الْحَكِيمُ}

في شرعه و قدره

الذي لا يريد شيئاً إلا و يكون، و لا يكون شيئاً إلا لحكمة و مصلحة.

## تفسير سورة الممتحنة - وهي مدنية

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا  
جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي  
وَأَبْنَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ  
فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ يَخْفَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ  
بِالسُّوْءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ  
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا الْقَوْمِ هَذَا  
بِرءٌ وَإِنَّكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا  
حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ۗ وَالْقَوْلُ لِبَرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُسْغِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ رَبَّنَا  
عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۗ إِنَّكَ  
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾

\* جاء في الصحيح المسند من اسباب النزول

المستدرک على الصحيحين للحاكم

3802 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ }

إِلَى قَوْلِهِ { وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }

نَزَلَ فِي مَكَاتِبِ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ وَ مَنْ مَعَهُ إِلَى كُفَّارِ قُرَيْشٍ  
يُحَذِرُونَهُمْ،

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ} [المتحنة:4]

نُهِوا أَنْ يَتَأَسَّوْا بِاسْتِغْفَارِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ فَيَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى {رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا} [المتحنة:5]

لَا تُعَذِّبْنَا بِأَيْدِيهِمْ وَ لَا بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِكَ فَيَقُولُونَ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ  
عَلَى الْحَقِّ مَا أَصَابَهُمْ

\*\*\* صحيح البخاري

3007 - عن علي رضي الله عنه، قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير،

والمقداد بن الأسود،

قال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة،

و معها كتاب فخذوه منها»

فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة،

فإذا نحن بالظعينة، فقلنا أخرجي الكتاب،

فقالت: ما معي من كتاب،

فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب،

فأخرجته من عقاصها،

فأتينا به رسول الله

فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة

يخبرهم ببعض أمر رسول الله

فقال رسول الله

«يا حاطب ما هذا؟»، قال: يا رسول الله،

لَا تَعَجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَ لَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا،  
 وَ كَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ  
 وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ،  
 أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي،  
 وَ مَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَ لَا ارْتِدَادًا، وَ لَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ،  
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لَقَدْ صَدَقَكُمُ»  
 قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أُضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ،  
 قَالَ: " إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا،  
 وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرِ  
 فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ "،  
 في 4274 - صحيح البخاري

. فَأَنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ

تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ } [الممتحنة: 1]-

إِلَى قَوْلِهِ - { فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ } [البقرة: 108] ( )

ذكر كثير من المفسرين، رحمهم الله ،

(روضة خاخ) موضع بين مكة والمدينة.

(ظعينة) المرأة في اليهودج وقيل المرأة عامة واسمها سارة وقيل كنود.

(تعادي بنا) تباعد وتجارى.

(عقاصها) هو الشعر المضفور.

(ملصقا) مضافا إليهم ولست منهم وقيل معناه حليفا ولم يكن من نفس قريش وأقربائهم.

(يدا) نعمة ومنة عليهم.

(اطلع) نظر إليهم وعلم حالهم وما سيكون منهم.

أن سبب نزول هذه الآيات الكريمات في قصة حاطب بن أبي بلتعة،  
حين غزا النبي ﷺ غزوة الفتح

فكتب حاطب إلى قريش يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم،  
ليتخذ بذلك يدا عندهم لا شكا و نفاقا، وأرسله مع امرأة،  
فأخبر النبي ﷺ بشأنه،

فأرسل إلى المرأة قبل وصولها وأخذ منها الكتاب.

و عاتب حاطبا، فاعتذر رضي الله عنه بعذر قبله النبي ﷺ،  
و هذه الآيات فيها النهي الشديد عن موالاته الكفار من المشركين و غيرهم،  
و إلقاء المودة إليهم، وأن ذلك مناف للإيمان،

و مخالف لملة إبراهيم الخليل ﷺ

و مناقض للعقل الذي يوجب الحذر كل الحذر من العدو،  
الذي لا يبقى من مجهوده في العداوة شيئا،

و ينتهز الفرصة في إيصال الضرر إلى عدوه، فقال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ)

\*\*\*كقوله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }

[المائدة: 51]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا  
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ {

[المائدة: 57]

{ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ  
مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ {

[آل عمران: 28]

اعملوا بمقتضى إيمانكم، من ولاية من قام بالإيمان،  
و معادة من عاداه، فإنه عدو لله، وعدو للمؤمنين.

{ عَدُوِّي }

فلا تتخذوا عدو الله

(وَعَدُوِّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ آلَهُمْ بِالْمُودَةِ)

أي: تسارعون في مودتهم و في السعي بأسبابها،  
فإن المودة إذا حصلت، تبعتها النصره و الموالاة، فخرج العبد من الإيمان،  
و صار من جملة أهل الكفران، و انفصل عن أهل الإيمان.  
و هذا المتخذ للكافر وليا، عادم المروءة أيضا،  
فإنه كيف يوالي أعدى أعدائه الذي لا يريد له إلا الشر، و يخالف ربه و وليه  
الذي يريد به الخير، و يأمره به، و يحثه عليه!؟

{ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ }

و مما يدعو المؤمن أيضا إلى معاداة الكفار، أنهم قد كفروا بما جاء المؤمنين من الحق، و لا أعظم من هذه المخالفة و المشاققة، فإنهم قد كفروا بأصل دينكم، و زعموا أنكم ضلال على غير هدى. و الحال أنهم كفروا بالحق الذي لا شك فيه و لا مرية، و من رد الحق فمحال أن يوجد له دليل أو حجة تدل على صحة قوله، بل مجرد العلم بالحق يدل على بطلان قول من رده و فساده. و من عداوتهم البليغة أنهم

**(يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ)**

أيها المؤمنون من دياركم، و يشردونكم من أوطانكم، و لا ذنب لكم في ذلك عندهم،

\*\*\* هذا مع ما قبله من التهيج على عداوتهم و عدم موالاتهم هَذَا مَعَ مَا قَبْلَهُ مِنَ التَّهْيِيجِ عَلَى عَدَاوَتِهِمْ وَ عَدَمِ مُوَالَاتِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ أَخْرَجُوا الرَّسُولَ وَ أَصْحَابَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ، كَرَاهَةً لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَ حُدَّهِ؛

وَ لِهَذَا قَالَ: {أَنْ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ}

أَي: لَمْ يَكُنْ لَكُمْ عِنْدَهُمْ ذَنْبٌ إِلَّا إِيمَانُكُمْ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،

كَهَوْلِهِ: {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [الْبُرُوجِ: 8] ،

وَ كَهَوْلِهِ {الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ

[الْحَجِّ: 40] .

## { أَنْ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ }

إلا أنكم تؤمنون بالله ربكم الذي يتعين على الخلق كلهم القيام بعبوديته، لأنه رباهم، و أنعم عليهم، بالنعم الظاهرة و الباطنة، و هو الله تعالى. فلما أعرضوا عن هذا الأمر، الذي هو أوجب الواجبات، و قمتم به، عادوكم، و أخرجوكم - من أجله - من دياركم، فأى دين، و أي مروءة و عقل، يبقى مع العبد إذا والى الكفار الذين هذا وصفهم في كل زمان أو مكان؟! و لا يمنعهم منه إلا خوف، أو مانع قوي.

## { إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي }

أي: إن كان خروجكم مقصودكم به الجهاد في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، و ابتغاء مرضاة الله فاعملوا بمقتضى هذا، من موالة أولياء الله و معاداة أعدائه، فإن هذا هو الجهاد في سبيله و هو من أعظم ما يتقرب به المتقربون إلى ربهم و يبتغون به رضاه.

## { تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ }

أي: كيف تسرون المودة للكافرين و تخفونها، مع علمكم أن الله عالم بما تخفون و ما تعلنون؟! فهو وإن خفي على المؤمنين،

فلا يخفى على الله تعالى، و سيجازي العباد بما يعلمه منهم من الخير و الشر،

**(وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ)**

أي: موالاة الكافرين بعد ما حذرکم الله منها

**(فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)**

لأنه سلك مسلكا مخالفا للشرع و للعقل و المروءة الإنسانية.  
ثم بين تعالى شدة عداوتهم، تهيجا للمؤمنين على عداوتهم،

**(إِنْ يَتَّقَوْكُمْ)**

أي: يجدوكم، و تسنح لهم الفرصة في أذاكم،

**(يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً)**

ظاهرين

**(وَيَسْطُرُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ)**

بالقتل و الضرب، ونحو ذلك.

**(وَأَلْسِنَتُهُم بِالسُّوءِ)**

أي: بالقول الذي يسوء، من شتم و غيره،

**(وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ)**

فإن هذا غاية ما يريدون منكم.

**{ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }**

\*\*\*أَيُّ: قَرَابَاتُكُمْ لَا تَنْفَعُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِكُمْ سُوءًا،  
وَنَفَعَهُمْ لَا يَصِلُ إِلَيْكُمْ إِذَا أَرْضَيْتَهُمْ بِمَا يُسَخِطُ اللَّهُ،  
وَمَنْ وَافَقَ أَهْلَهُ عَلَى الْكُفْرِ لِيَرْضِيَهُمْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ وَضَلَّ عَمَلَهُ،  
وَلَا يَنْفَعُهُ عِنْدَ اللَّهِ قَرَابَتُهُ مِنْ أَحَدٍ، وَ لَوْ كَانَ قَرِيبًا إِلَى نَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ.

صحيح مسلم -203

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَ أَبِي؟  
قَالَ: «فِي النَّارِ»، فَلَمَّا قَفَى دَعَاهُ، فَقَالَ: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ» ( )  
-فإن احتججتم و قلمتم: نوالي الكفار لأجل القرابة و الأموال،  
فلن تغني عنكم أموالكم و لا أولادكم من الله شيئاً.

{يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ}

\*يفرق

(وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

فلذلك حذرکم من موالاته الکافرين الذين تضرکم موالاتهم،

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِ إِنَّا أَبْرءُ أَوْأَمِنْكُمْ وَمِمَّا  
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ

[فلما قفى) قال في النهاية أي ذهب موليا وكأنه من القفا أي أعطاه قفاه وظهره]

وَحَدَّثَهُ بِالْأَقْوَالِ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ **عُرِّبْنَا** عَلَيْكَ **تَوَكَّلْنَا**

وَالَيْكَ أَنْبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾

قد كان لكم يا معشر المؤمنين

(قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)

أي: قدوة سالحة و ائتمام ينفعكم،

(فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ)

من المؤمنين، لأنكم قد أمرتم أن تتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً،

(مَعَهُ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ)

أي: إذ تبرأ إبراهيم عليه السلام و من معه من المؤمنين،

من قومهم المشركين و مما يعبدون من دون الله.

ثم صرحوا بعداوتهم غاية التصريح، فقالوا:

(كَفَرْنَا بِكُمْ **وَبَدَا**)

أي: ظهر و بان

(يَبْئِنَّا بَيْنَكُمْ **الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ**)

أي: البغض بالقلوب، و زوال مودتها، و العداوة بالأبدان،

و ليس لتلك العداوة و البغضاء وقت و لا حد، بل ذلك

(أَبَدًا)

ما دتمم مستميرين على كفركم

(حَتَّى تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ)

أي: فإذا آمنتم بالله وحده، زالت العداوة و البغضاء،

و انقلبت مودة و ولاية،

فلكم أيها المؤمنون أسوة حسنة في إبراهيم و من معه في القيام

بالإيمان والتوحيد، و القيام بلوازم ذلك و مقتضياته،

و في كل شيء تعبدوا به لله وحده،

(إِلَّا)

في خصلة واحدة وهي

(قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ)

آزر المشرك، الكافر المعاند،

حين دعاه إلى الإيمان و التوحيد، فامتنع، فقال إبراهيم :

(لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ و )

الحال أني لا

(وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ)

لكني أدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا،

فليس لكم أن تقتدوا بإبراهيم في هذه الحالة التي دعا بها للمشرك،

فليس لكم أن تدعوا للمشركين،

و تقولوا: إنا في ذلك متبعون لملة إبراهيم، فإن الله ذكر عذر إبراهيم في ذلك

بقوله: { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْحَجِيمِ 13 وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ

حَلِيمٌ } [التوبة: 113، 114]

و لكم أسوة حسنة في إبراهيم و من معه،

حين دعوا الله و توكلوا عليه و أنابوا إليه، و اعترفوا بالعجز و التقصير، فقالوا:

(رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا)

أي: اعتمدنا عليك في جلب ما ينفعنا و دفع ما يضرنا،

و وثقنا بك يا ربنا في ذلك.

(وإِلَيْكَ أُنَبِّئُا)

أي: رجعنا إلى طاعتك و مرضاتك و جميع ما يقرب إليك،

فنحن في ذلك ساعون، و بفعل الخيرات مجتهدون،

{ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }

و نعمل أنا إليك نصير، فسنستعد للقدوم عليك،

و نعمل ما يقربنا الزلفى إليك .

**(رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا)**

لا تسلطهم علينا بذنوبنا، فيفتنونا و يمنعونا مما يقدرون عليه من أمور الإيمان،  
و يفتنون أيضا بأنفسهم،  
فإنهم إذا رأوا لهم الغلبة، ظنوا أنهم على الحق و أنا على الباطل،  
فازدادوا كفرا و طغيانا،

**(وَأَغْفِرْ لَنَا)**

ما اقترفنا من الذنوب و السيئات، و ما قصرنا به من المأمورات،

**(رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ)**

القاهر لكل شيء،

**(الْحَكِيمُ)**

الذي يضع الأشياء مواضعها، فبعزتك و حكمتك انصرنا على أعدائنا،  
و اغفر لنا ذنوبنا، و أصلح عيوبنا.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ

﴿٦﴾ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾

لَا يَنْهَىٰكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِينِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِينِكُمْ

وظَاهَرُوا وَإِخْرَاجِكُمْ أَن تَتَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا

جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مِمَّ جَرَبْتُم فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِن عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ

إِلَى الْكُفَّارِ لَأَنَّهُنَّ حُلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُم أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا

ءَانَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفِرِ وَسَأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُم مَّا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ

يُحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابَقْتُمْ فَتَانُوا

الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاحُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

ثم كرر الحث لهم على الاقتداء بهم، فقال:

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)

و ليس كل أحد تسهل عليه هذه الأسوة، و إنما تسهل على من

(لَمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ)

فإن الإيمان و احتساب الأجر و الثواب،

يسهل على العبد كل عسير، و يقلل لديه كل كثير،

و يوجب له الإكثار من الاقتداء بعباد الله الصالحين، و الأنبياء و المرسلين،  
فإنه يرى نفسه مفتقرا و مضطرا إلى ذلك غاية الاضطرار.

**(وَمَنْ يَتَوَلَّ)**

عن طاعة الله و التأسى برسول الله، فلن يضر إلا نفسه، و لا يضر الله شيئا،

**(فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ)**

الذي له الغنى التام المطلق من جميع الوجوه،

فلا يحتاج إلى أحد من خلقه بوجه ،

\*\*\*الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي غِنَاهُ، وَ هُوَ اللَّهُ، هَذِهِ صِفَتُهُ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ،  
لَيْسَ لَهُ كُفٌّ، وَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.

**(الْمَعِيدُ)**

في ذاته و أسمائه و صفاته و أفعاله، فإنه محمود على ذلك كله.

\*\*\*الْمُسْتَحْمَدُ إِلَى خَلْقِهِ، أَي:

هُوَ الْمَحْمُودُ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَ أَقْوَالِهِ،  
لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَ لَا رَبَّ سِوَاهُ.

○ ثم أخبر تعالى أن هذه العداوة التي أمر الله بها المؤمنين للمشركين،

و وصفهم بالقيام بها أنهم ما داموا على شركهم و كفرهم

و أنهم إن انتقلوا إلى الإيمان،

فإن الحكم يدور مع علته، فإن المودة الإيمانية ترجع،

فلا تياسوا أيها المؤمنون، من رجوعهم إلى الإيمان،

\*\*\* كقوله { وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَعَنِي }

{ [إبراهيم: 8]

ف (عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً)

سببها رجوعهم إلى الإيمان،

{ وَاللَّهُ فَدِيرٌ }

على كل شيء، و من ذلك هداية القلوب و تقليبها من حال إلى حال،

{ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }

لا يتعاطمه ذنب أن يغفره، ولا يكبر عليه عيب أن يستره،

{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ }

الدُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ { [الزمر: 53]

و في هذه الآية إشارة و بشارة إلى إسلام بعض المشركين،

الذين كانوا إذ ذاك أعداء للمؤمنين،

و قد وقع ذلك، و لله الحمد و المنة.

\*\*\* كما امتن الله علي الانصار فقال

{ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ }

بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ { [آل عمران: 103]

و كقول النبي في صحيح البخاري-4330

يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي،

وَ كُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلْفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَ عَالَةً فَأَعْنَاكُمْ اللَّهُ بِي

و لما نزلت هذه الآيات الكريمات، المهيجة على عداوة الكافرين، وقعت من المؤمنين كل موقع، و قاموا بها أتم القيام، و تأثموا من صلة بعض أقاربهم المشركين، و ظنوا أن ذلك داخل فيما نهى الله عنه. فأخبرهم الله أن ذلك لا يدخل في المحرم فقال:

**(لَا يَنْهَى كُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ)**

أي: لا ينهاكم الله عن البر و الصلة، و المكافأة بالمعروف، و القسط للمشركين، من أقاربكم و غيرهم، حيث كانوا بحال لم ينتصبا لقتالكم في الدين و الإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن تصلوهم،

**{ أَنْ تَبْرُوهُمْ }**

\*\*\*تحسنوا اليهم

**{ وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ }**

\*\*\*تعدلوا

\*\*\*صحيح البخاري

5978 - عن أسماء بنت أبي بكر، رضي الله عنهما

قالت: أتتني أمي رغبة، في عهد النبي ﷺ،

فسألت النبي ﷺ: أصلها؟ قال: «نعم»

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ:

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ} ( )

{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}

\*\*\*مسند أحمد ط الرسالة - 6492

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ  
" الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ،  
عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ،

وَ كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ، وَ أَهْلِيهِمْ وَ مَا وُلُّوا "

فإن صلتهم في هذه الحالة، لا محذور فيها و لا مفسدة

كما قال تعالى عن الأبوين المشركين إذا كان ولدهما مسلما:

{وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي

الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} [لقمان: 15]

و قوله: {إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ}

أي: لأجل دينكم، عداوة لدين الله و لمن قام به،

{وَآخِرُ جَزَاؤِكُمْ مِنَ دِينِكُمْ وَظَنُّهُرُوا}

أي: عاونوا غيرهم

(لا ينهاكم الله..). لم يمنعكم من الإكرام وحسن الصلة لغير المسلمين طالما أنهم لم يصابوكم  
العداء ولم يسعوا في إيذائكم ولم يقاتلوكم بسبب دينكم لا سيما إن كانوا أقرباء وذوي رحم.

(عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ)

نهاكم الله

(أَنْ تَوَلَّوْهُمْ<sup>ع</sup>)

بالمودة و النصره، بالقول و الفعل،

و أما بركم و إحسانكم، الذي ليس بتول للمشركين، فلم ينهكم الله عنه، بل ذلك داخل في عموم الأمر بالإحسان إلى الأقارب و غيرهم من الآدميين، و غيرهم.

(وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

و ذلك الظلم يكون بحسب التولي، ..

فإن كان توليا تاما، صار ذلك كفرا مخرجا عن دائرة الإسلام،

و لا تحت ذلك من المراتب ما هو غليظ، و ما هو دون ذلك.

\*\*\*كقوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}

[المائدة: 51]

يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ مَهْجُرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ

مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهِنَّ جِلْهُنَّ وَلَهُنَّ حُلٌّ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَهُنَّ مَأْنِفُونَ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

أَنْ تَكْفُرُوهُنَّ إِذَا عَازَبْتُمُوهُنَّ أَجْرُهُنَّ وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ بِعَصِمِ الْكُوفَرِ وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا

ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ بِحُكْمِ بَيْنَتِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شِقَّةٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ

فَعَاقِبْتُمْ فَاتَوْا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

\*\*\*تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ "الْفَتْحِ" ذِكْرُ صَلَاحِ الْحُدَيْبِيَّةِ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَكَانَ فِيهِ:

"عَلَىٰ آلَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ - وَإِنْ كَانَ عَلَىٰ دِينِكَ - إِلَّا رَدَدْتُهُ إِلَيْنَا".  
وَ فِي رِوَايَةٍ: "عَلَىٰ أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا أَحَدٌ -  
وَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ دِينِكَ - إِلَّا رَدَدْتُهُ إِلَيْنَا".

وَ هَذَا قَوْلُ عُرْوَةَ، وَالصَّحَّاحِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ، وَالزُّهْرِيِّ، وَمَقَاتِلِ،  
وَالسُّدِّيِّ. فَعَلَىٰ هَذِهِ الرِّوَايَةِ تَكُونُ هَذِهِ الْآيَةُ مُخَصَّصَةً لِلسُّنَّةِ،  
وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ، وَعَلَىٰ طَرِيقَةٍ بَعْضِ السَّلَفِ نَاسِخَةٌ،  
فَإِنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، أَمَرَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ

{ إِذَا جَاءَهُمُ النِّسَاءُ مُهَاجِرَاتٍ أَنْ يَمْتَحِنُوهُنَّ \* فَإِنْ عَلِمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا  
يَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ \* لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ }.

(يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ)

\*\*\*{ فَا مْتَحِنُوهُنَّ }

فَاسْأَلُوهُنَّ: عَمَّا جَاءَ بِهِنَّ؟

فَإِنْ كَانَ بِهِنَّ غَضَبٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ أَوْ سَخَطَةٌ أَوْ غَيْرُهُ،

وَ لَمْ يُؤْمِنَنَّ فَارْجِعُوهُنَّ إِلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ.

وَ قَالَ عِكْرِمَةُ: يُقَالُ لَهَا: مَا جَاءَ بِكَ إِلَّا حَبُّ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ؟

وَ مَا جَاءَ بِكَ عَشْقُ رَجُلٍ مِنَّا، وَ لَا فِرَارٌ مِنْ رَوْجِكَ؟

فَذَلِكَ قَوْلُهُ: { فَا مْتَحِنُوهُنَّ }

وَ قَالَ قَتَادَةُ: كَانَتْ مِحْنَتُهُنَّ أَنْ يُسْتَحْلَفْنَ بِاللَّهِ: مَا أَخْرَجَكُنَّ النَّشُورُ؟  
وَ مَا أَخْرَجَكُنَّ إِلَّا حَبُّ الْإِسْلَامِ وَ أَهْلِهِ وَ حِرْصَ عَلَيْهِ؟  
فَإِذَا قُلْنَ ذَلِكَ قُبِلَ ذَلِكَ مِنْهُنَّ.

لما كان صلح الحديبية، صالح النبي ﷺ المشركين،

على أن من جاء منهم إلى المسلمين مسلما، أنه يرد إلى المشركين،

و كان هذا لفظا عاما، مطلقا يدخل في عمومه النساء و الرجال،

فأما الرجال فإن الله لم يمه رسوله عن ردهم إلى المشركين وفاء بالشرط

و تميميا للصلح الذي هو من أكبر المصالح،

و أما النساء فلما كان ردهن فيه مفسد كثيرة،

أمر الله المؤمنين إذا جاءهم المؤمنات مهاجرات،

و شكوا في صدق إيمانهن، أن يمتحنوهن و يختبروهن،

بما يظهر به صدقهن، من إيمان مغلظة وغيرها،

فإنه يحتمل أن يكون إيمانها غير صادق بل رغبة في زوج أو بلد أو غير ذلك

من المقاصد الدنيوية.

فإن كن بهذا الوصف، تعين ردهن وفاء بالشرط، من غير حصول مفسدة،

**ط (فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ) ط**

و إن امتحنوهن فوجدن صادقات، أو علموا ذلك منهن من غير امتحان،

فلا يرجعهن إلى الكفار،

\*\*\* فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ يُمَكِّنُ الْإِطْلَاعَ عَلَيْهِ يَقِينًا

(لَا هُنَّ حِلٌّ لَكُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهَا)

\*\*\* هَذِهِ الْآيَةُ هِيَ الَّتِي حَرَمَتِ الْمُسْلِمَاتِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ،  
وَ قَدْ كَانَ جَائِزًا فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْمُشْرِكُ الْمُؤْمِنَةَ؛  
وَ لِهَذَا كَانَ أَبُو الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ زَوْجَ ابْنَةِ النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،  
وَ قَدْ كَانَتْ مُسْلِمَةً وَهُوَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، فَلَمَّا وَقَعَ فِي الْأَسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ  
بَعَثَتْ امْرَأَتَهُ زَيْنَبُ فِي فِدَائِهِ بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ لِامِّهَا خَدِيجَةَ،  
فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً،  
وَ قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: "إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا لَهَا أَسِيرَهَا فَافْعَلُوا". فَفَعَلُوا،  
فَأَطْلَقَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ ابْنَتَهُ إِلَيْهِ،  
فَوَفَّى لَهُ بِذَلِكَ وَصَدَقَهُ فِيمَا وَ عَدَّهُ،  
وَ بَعَثَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،  
فَأَقَامَتْ بِالْمَدِينَةِ مِنْ بَعْدِ وَقْعَةِ بَدْرٍ،  
وَ كَانَتْ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ إِلَى أَنْ أَسْلَمَ زَوْجُهَا الْعَاصُ بْنُ الرَّبِيعِ سَنَةَ ثَمَانٍ فَرَدَّهَا  
عَلَيْهِ بِالنِّكَاحِ الْأَوَّلِ،  
وَ لَمْ يُحْدِثْ لَهَا صَدَاقًا، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ:  
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَدَّ ابْنَتَهُ زَيْنَبَ عَلَى أَبِي الْعَاصِ ابْنِ الرَّبِيعِ  
وَ كَانَتْ هَجْرَتُهَا قَبْلَ إِسْلَامِهِ بِسِتِّ سِنِينَ عَلَى النِّكَاحِ الْأَوَّلِ،  
وَ لَمْ يُحْدِثْ شَهَادَةً وَ لَا صَدَاقًا ( )

فهذه مفسدة كبيرة في ردهن زاعاها الشارع، و راعى أيضا الوفاء بالشرط

**(وَمَا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا أَتَيْتُمُوهُنَّ بِأُجُورِهِنَّ)**

بأن يعطوا الكفار أزواجهن ما أنفقوا عليهن من المهر و توابعه عوضا عنهن،  
و لا جناح حينئذ على المسلمين أن ينكحوهن  
و لو كان لهن أزواج في دار الشرك،  
و لكن بشرط أن يؤتوهن أجورهن من المهر و النفقة،  
و كما أن المسلمة لا تحل للكافر، فكذلك الكافرة لا تحل للمسلم أن  
يمسكها ما دامت على كفرها، غير أهل الكتاب،

و لهذا قال تعالى: **(وَلَا تَمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ)**

و إذا نهى عن الإمساك بعصمتها فالنهي عن ابتداء تزويجها أولى،

\*\*\* صحيح البخاري - 2731

في الحديث ان رسول الله لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية  
ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

**{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ }**

[الممتحنة: 10]

حَتَّىٰ بَلَغَ بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ،  
كَانَتَا لَهُ فِي الشَّرْكِ  
فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ،  
وَ الْأُخْرَى صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ،

**(وَسَتُّوْا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ مَا أَنْفَقْتُمْ)**

أيها المؤمنون، حين ترجع زوجاتكم مرتدات إلى الكفار، فإذا كان الكفار يأخذون من المسلمين نفقة من أسلمت من نسائهم، استحق المسلمون أن يأخذوا مقابلة ما ذهب من نسائهم إلى الكفار، وفي هذا دليل على أن خروج البضع من الزوج متقوم، فإذا أفسد مفسد نكاح امرأة رجل، برضاع أو غيره، كان عليه ضمان المهر،

**\* (وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ)**

و اطلبوا من المشركين ما أنفقتم من مهر نسائكم اللاتي ارتددن عن الإسلام ولحقن بهم:الميسر

**(وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا<sup>ع</sup>)**

\*و ليطلبوا هم ما أنفقوا من مهر نسائهم المسلمات اللاتي أسلمن ولحقن بكم:الميسر

و قوله: **(ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ<sup>ط</sup>)**

أي: ذلكم الحكم الذي ذكره الله و بينه لكم يحكم به بينكم \*\*\* في الصلح و استثناء النساء منه،  
و الأمر بهذا كله هو حكم الله يحكم به بين خلقه

**(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)**

فيعلم تعالى، ما يصلح لكم من الأحكام، و يشرع لكم ما تقتضيه الحكمة .

و قوله: **(وَإِنْ فَاتَكُمْ شُرُكٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ)**

**(فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا)**

كما تقدم أن الكفار إذا كانوا يأخذون بدل ما يفوت من أزواجهم إلى المسلمين، فمن ذهب زوجته من المسلمين إلى الكفار و فاتت عليه،

**(فَعَاقِبْتُمْ)**

\* فغزوتهم و غنمتم :الميسر

لزم أن يعطيه المسلمون من الغنيمة بدل ما أنفق .

\* وإن لحقت بعض زوجاتكم مرتدات إلى الكفار،

و لم يعطكم الكفار مهورهن التي دفعتموها لهن،

ثم ظفرتهم بهؤلاء الكفار أو غيرهم و انتصرتهم عليهم،

فأعطوا الذين ذهب أزواجهم من المسلمين من الغنائم أو غيرها

مثل ما أعطوهن من المهور قبل ذلك :الميسر

**(وَأَنْفَقُوا لِلَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ)**

فإيمانكم بالله يقتضي منكم أن تكونوا ملازمين للتقوى على الدوام.

\*\*\* ثُمَّ قَالَ: { وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ

**ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا}**

قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ: هَذَا فِي الْكُفَّارِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ عَهْدٌ،

إِذَا فَرَّتْ إِلَيْهِمْ امْرَأَةٌ وَلَمْ يَدْفَعُوا إِلَى زَوْجِهَا شَيْئًا،

فَإِذَا جَاءَتْ مِنْهُمْ امْرَأَةٌ لَا يُدْفَعُ إِلَى زَوْجِهَا شَيْءٌ،

حَتَّى يَدْفَعَ إِلَى زَوْجِ الدَّاهِبَةِ إِلَيْهِمْ مِثْلَ نَفَقَتِهِ عَلَيْهَا.

وَ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا يُونُسُ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ  
قَالَ: أَقَرَّ الْمُؤْمِنُونَ بِحُكْمِ اللَّهِ،

فَادَّوَا مَا أُمِرُوا بِهِ مِنْ نَفَقَاتِ الْمُشْرِكِينَ الَّتِي أَنْفَقُوا عَلَى نِسَائِهِمْ  
وَ أَبِي الْمُشْرِكُونَ أَنْ يُقِرُّوا بِحُكْمِ اللَّهِ فِيمَا فَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَدَاءِ نَفَقَاتِ  
الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ:

{وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ  
أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ}

فَلَوْ أَنَّهَا ذَهَبَتْ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ امْرَأَةً مِنْ أَزْوَاجِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ،  
رَدَّ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى زَوْجِهَا النَّفَقَةَ الَّتِي أَنْفَقَ عَلَيْهَا مِنَ الْعَقَبِ الَّذِي بَأْيَدِيهِمْ،  
الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَرُدُّوهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مِنْ نَفَقَاتِهِمْ الَّتِي أَنْفَقُوا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ  
الَّذِي آمَنَ وَهَاجَرَنَ،  
ثُمَّ رَدُّوا إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَضَلًّا إِنْ كَانَ بَقِيَ لَهُمْ.

وَ الْعَقَبُ:

مَا كَانَ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْ صَدَاقِ نِسَاءِ الْكُفَّارِ حِينَ آمَنَ وَهَاجَرَنَ .  
وَ قَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ:

يَعْنِي إِنْ لَحِقَتْ امْرَأَةٌ رَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ بِالْكَفَّارِ  
أَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ يُعْطَى مِنَ الْغَنِيمَةِ مِثْلَ مَا أَنْفَقَ.  
وَ هَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ:

{فَعَاقِبْتُمْ}

أَصَبْتُمْ غَنِيمَةً مِنْ قُرَيْشٍ أَوْ غَيْرِهِمْ

{فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا}

يَعْنِي: مَهْرٌ مِثْلِهَا. وَهَكَذَا قَالَ مَسْرُوقٌ، وَابْرَاهِيمُ، وَقَتَادَةُ، وَمَقَاتِلُ،  
وَالصَّحَّاحُ، وَسُفْيَانُ بْنُ حُسَيْنٍ، وَالزُّهْرِيُّ أَيْضًا.

وَهَذَا لَا يُنَافِي الْأَوَّلَ؛ لِأَنَّهُ إِنْ أَمَكَنَّ الْأَوَّلُ فَهُوَ أَوْلَى،  
وَإِلَّا فَمَنْ أَلْغَتِ الْأَيُّ تُؤْخَذُ مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ.  
وَهَذَا أَوْسَعُ، وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ  
وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي  
مَعْرُوفٍ فَبَايَعْتَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَانْتَوَلُوا  
قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدِيحِينَ سَوَامٍ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سورة الصف

سَبَّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ  
تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ  
اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُنِينَ مَرْمُوسٍ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ  
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ قَدْ تَعْلَمُونَ أِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا  
أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾  
{ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ }

\*\*\* صحيح البخاري

2713 - قَالَ عُرْوَةُ:

فَأَخْبَرْتَنِي عَائِشَةُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَمْتَحِنُهُنَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ }

[الممتحنة: 10]

إِلَى {عَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة: 173]،

قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَنْ أَقْرَبَ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنْهُنَّ،

قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ بَايَعْتِكِ»

كَلَامًا يُكَلِّمُهَا بِهِ،

وَ اللَّهُ مَا مَسَّتْ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ فِي الْمُبَايَعَةِ، وَ مَا بَايَعَهُنَّ إِلَّا بِقَوْلِهِ

سنن الترمذي ت شاكر

1597 عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، سَمِعَ أُمَيْمَةَ بِنْتَ رُقَيْقَةَ،

تَقُولُ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ فِي نِسْوَةٍ،

فَقَالَ لَنَا: «فِيهَا اسْتَطَعْنَّ وَ أَطَقْنَّ»

قُلْتُ: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنَّا بِأَنْفُسِنَا،

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَايَعْنَا، -

قَالَ سُفْيَانُ: تَعْنِي صَافِحْنَا، - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّمَا قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ كَهَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ»

صحيح البخاري -4892

عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ

فَقَرَأَ عَلَيْنَا: {أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا} [الممتحنة: 12]،

«وَ نَهَانَا عَنِ النَّيَاحَةِ»،

فَقَبِضَتْ امْرَأَةً يَدَهَا،

فَقَالَتْ: أَسْعَدْتَنِي فَلَانَهُ، أُرِيدُ أَنْ أَجْزِيَهَا،

فَمَا قَالَ لَهَا النَّبِيُّ شَيْئًا، فَاَنْطَلَقْتُ وَ رَجَعْتُ، فَبَايَعَهَا ( )

صحيح البخاري

(أسعدتني) قامت معي في نياحة لي

4895 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:-

شَهِدْتُ الصَّلَاةَ يَوْمَ الْفِطْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَ أَبِي بَكْرٍ، وَ عُمَرَ، وَ عُثْمَانَ فَكُلُّهُمْ يُصَلِّيهَا قَبْلَ الْخُطْبَةِ، ثُمَّ يَخْطُبُ بَعْدُ،  
فَنَزَلَ نَبِيُّ اللَّهِ فَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَيْهِ حِينَ يُجْلِسُ الرِّجَالَ بِيَدِهِ،  
ثُمَّ أَقْبَلَ يَشْفُقُهُمْ، حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ مَعَ بِلَالٍ،

فَقَالَ: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا  
وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ

أَيْدِيَهُنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ } [الممتحنة: 12]

حَتَّى فَرَعَ مِنَ الْآيَةِ كُلِّهَا،

ثُمَّ قَالَ حِينَ فَرَعَ: «أَنْتَنَ عَلَى ذَلِكَ؟»

فَقَالَتْ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ، لَمْ يُجِبْهُ غَيْرُهَا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ - لَا يَدْرِي الْحَسَنُ  
مَنْ هِيَ - قَالَ: «فَتَصَدَّقْنِ»

وَ بَسَطَ بِلَالٌ نُوْبَهُ، فَجَعَلَنَ يُلْقِينَ الْفَتْحَ وَ الْخَوَاتِيمَ فِي نُوْبِ بِلَالٍ

مسند أحمد مخرجا

6850 - عَنْ عَمْرٍو بْنِ شَعِيبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ:

جَاءَتْ أُمَيْمَةُ بِنْتُ رُقَيْقَةَ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ تُبَايِعُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ،

فَقَالَ: «أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكِي بِاللَّهِ شَيْئًا،

وَ لَا تَسْرِقِي وَ لَا تَزْنِي، وَ لَا تَقْتُلِي وَ لَدَّكَ،

وَ لَا تَأْتِي بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِينَهُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَ رِجْلَيْكَ،

وَ لَا تَنُوحِي، وَ لَا تَبْرَجِي تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى»

صحيح البخاري

18 - عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وَ كَانَ شَهِدَ بَدْرًا وَهُوَ أَحَدُ النَّقَبَاءِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ:  
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ، وَ حَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ:  
 «بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا،  
 وَ لَا تُسْرِقُوا، وَ لَا تَزْنُوا، وَ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ  
 وَ لَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَ أَرْجُلِكُمْ، وَ لَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ،  
 فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ،  
 وَ مَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ،  
 وَ مَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ،  
 إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ»  
 فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ ( )

(شهد بدرًا) حضر غزوة بدر.

(النقباء) جمع نقيب وهو عريف القوم وناظرهم والمراد الذين اختارهم الأوس والخزرج لقباء عليهم بطلب من النبي صلى الله عليه وسلم وأقرهم على ذلك (ليلة العقبة) الليلة التي بايع فيها صلى الله عليه وسلم الذين آمنوا من الأوس والخزرج على النصره وهي بيعة العقبة الثانية وكان ذلك عند جمره العقبة بمنى والعقبة من الشيء الموضع المرتفع منه. (عصابة) الجماعة من الناس وهم ما بين العشرة إلى الأربعين.

(بايعوني) عاهدوني.

(بهتان) كذب فظييع يدهش سامعه.

(تفترونه) تختلقونه.

(بين أيديكم وأرجلكم) من عند أنفسكم.

(ولا تعصوا في معروف) لا تخالفوا في أمر لم ينه عنه الشرع.

(وفى) ثبت على العهد.

(أصاب من ذم شينا) وقع في مخالفة مما ذكر.

(فعوقب) نفذت عليه عقوبته من حد أو غيره.

(ستره الله) لم يصل أمره إلى القضاء]

هذه الشروط المذكورة في هذه الآية

تسمى «مبايعة النساء» اللاتي كن يباعن على إقامة الواجبات المشتركة،

التي تجب على الذكور و النساء في جميع الأوقات.

و أما الرجال، فيتفاوت ما يلزمهم بحسب أحوالهم و مراتبهم و ما يتعين عليهم

فكان النبي ﷺ يمثل ما أمره الله به،

فكان إذا جاءته النساء يباعنه، و التزم بهذه الشروط بايعهن، و جبر قلوبهن،

و استغفر لهن الله، فيما يحصل منهن من التقصير

و أدخلهن في جملة المؤمنين بأن

(لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا)

بأن يفرذن الله وحده بالعبادة.

{وَلَا يَسْرِقَنَّ}

\*\*\* أَي: أَمْوَالِ النَّاسِ الْأَجَانِبِ،

فَأَمَّا إِذَا كَانَ الزَّوْجُ مُقَصِّرًا فِي نَفَقَتِهَا،

فَلَهَا أَنْ تَأْكُلَ مِنْ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ، مَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ أُمَّثَالِهَا،

وَ إِنْ كَانَ بَغَيْرِ عِلْمِهِ، عَمَلًا بِحَدِيثِ هِنْدِ بِنْتِ عُتْبَةَ

صحيح البخاري

2211 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَالَتْ هِنْدُ أُمُّ مَعَاوِيَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ أَخَذَ مِنْ مَالِهِ سِرًّا؟  
قَالَ: «خُذِي أَنْتِ وَبَنُوكِ مَا يَكْفِيكِ بِالْمَعْرُوفِ» ( )

(وَلَا يَزْنِينَ)

كما كان ذلك موجودا كثيرا في البغايا و ذوات الأخدان،

\*\*\*كقوله { وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا } [الإسراء: 32]

صحيح البخاري -7047

سَمْرَةَ بِنُ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يُكْثَرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ:

«هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا».....

قَالَ: «فَاطَلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رَجَالٌ وَ نِسَاءٌ عُرَاةٌ،

وَ إِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلِ مِنْهُمْ،

فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ صُوضُوا» قَالَ:

قُلْتُ لَهُمَا: مَا هُوَ لَآءِ؟ "

قَالَ: " قَا لَآلِي: انْطَلِقِ انْطَلِقِ.....

وَ أَمَّا الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمْ الزَّانَاةُ وَ الزَّوَانِي،

(وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ)

كما يجري لنساء الجاهلية الجهلاء.

(شحيح) بخيل مع الحرص.

(جناح) إثم. (سرا) أي دون علمه وإذنه.

(بالمعروف) حسب عادة الناس في نفقة أمثالك وأمثال أولادك]

\*\*\*خوفا من الاملاق (الفقر)

\*\*\*و يعم قتله و هو جنين

(وَلَا يَأْتِيَنَّ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ)

و البهتان: الافتراء على الغير

أي: لا يفتريين بكل حالة، سواء تعلقت بهن و أزواجهن أو سواء تعلق ذلك  
بغيرهم،

\*يلحقن بأزواجهن أو اولادا :الزبدة

(وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ)

أي: لا يعصينك في كل أمر تأمرهن به،

لأن أمرك لا يكون إلا بمعروف،

و من ذلك طاعتهن لك في النهي عن النياحة،

و شق الثياب،

و خمش الوجوه،

و الدعاء بدعاء الجاهلية.

(فَبِأَعْيُنِنَا)

إذا التزمين بجميع ما ذكر.

(وَأَسْتَغْفِرَنَّ لَهُنَّ اللَّهُ)

عن تقصيرهن، و تطيبا لخواطرن،

(إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ )

أي: كثير المغفرة للعاصيين، و الإحسان إلى المذنبين التائبين،

(رَحِيمٌ)

وسعت رحمته كل شيء، و عم إحسانه البرايا.

(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا)

أي: يا أيها المؤمنون، إن كنتم مؤمنين بربكم

و متبعين لرضاه و مجانيين لسخطه،

(لَأَنْتُمْ لَوْ أَقْرَبْتُمْ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ)

\* لا تتخذوا الذين غضب الله عليهم لكفرهم أصدقاء و أخلاء: الميسر  
○ و إنما غضب عليهم لكفرهم، و هذا شامل لجميع أصناف الكفار.

(قَدْ يَسْئُرُونَ مِنَ الْآخِرَةِ)

أي: قد حرموا من خير الآخرة، فليس لهم منها نصيب،

فاحذروا أن تولوهم فتوافقوهم على شرهم و كفرهم

فتحرموا خير الآخرة كما حرموا.

و قوله: (كَمَا يَسِ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ)

— حين أفضوا إلى الدار الآخرة،

و وقفوا على حقيقة الأمر و علموا علم اليقين أنهم لا نصيب لهم منها.

-و يحتمل أن المعنى: قد يؤسوا من الآخرة

أي: قد أنكروها و كفروا بها،

فلا يستغرب حينئذ منهم الإقدام على مساخط الله و موجبات عذابه و إياسهم من الآخرة،

كما يؤس الكفار المنكرون للبعث في الدنيا من رجوع أصحاب القبور إلى الله تعالى.

\*\*\* يَعْني مَنْ مَاتَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَقَدْ يَتَسَّ الْأَحْيَاءُ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيْهِمْ أَوْ يَبْعَثَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: { كَمَا يَتَسَّ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ }

قَالَ: الْكُفَّارُ الْأَحْيَاءُ قَدْ يَتَسُّوا مِنَ الْأَمْوَاتِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: كَمَا يَتَسَّ الْكُفَّارُ أَنْ يَرْجَعَ إِلَيْهِمْ أَصْحَابُ الْقُبُورِ الَّذِينَ مَاتُوا. وَ الْقَوْلُ الثَّانِي: مَعْنَاهُ: كَمَا يَتَسَّ الْكُفَّارُ الَّذِينَ هُمْ فِي الْقُبُورِ مَنْ كُلِّ خَيْرٍ.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: { كَمَا يَتَسَّ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ }

قَالَ: كَمَا يَتَسَّ هَذَا الْكَافِرُ إِذَا مَاتَ وَعَايَنَ ثَوَابَهُ وَاطَّلَعَ عَلَيْهِ.

تفسير سورة الصف- و هي مدنية- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ

تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ

اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ مُبِينِينَ مَرْصُوعٌ ﴿٤﴾

\*\*\*السنن الكبرى للبيهقي

18499- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: لَوْ أَرْسَلْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلَهُ عَنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ. قَالَ: فَلَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَّا وَ هِبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْلِيكَ النَّفَرِ رَجُلًا رَجُلًا حَتَّى جَمَعَهُمْ ، وَ نَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ السُّورَةُ: سَبَّحَ لِلَّهِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُلَّهَا

### { سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ }<sup>ط</sup>

و هذا بيان لعظمته تعالى و قهره، و ذل جميع الخلق له تبارك و تعالی، و أن جميع من في السماوات و الأرض يسبحون بحمد الله و يعبدونه و يسألونه حوائجهم،

(وَهُوَ الْعَزِيزُ)

الذي قهر الأشياء بعزته و سلطانه،

(الْحَكِيمُ)

في خلقه و أمره.

(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَاتَفْعَلُونَ)

\*\*\* صحيح البخاري -33

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

" آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَ إِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَ إِذَا أُوْمِنَ خَانَ "

صحيح البخاري -34

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:  
 " أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا،  
 وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصَلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصَلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا:  
 إِذَا أُؤْتِيَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ "

أي: لم تقولون الخير و تحثون عليه،

و ربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه، و تنهون عن الشر  
 و ربما نزهتم أنفسكم عنه، و أنتم متلوثون به و متصفون به.  
 فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟

**{ كِبْرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ }**

\* بغضاً: الميسر

أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟  
 و لهذا ينبغي للأمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة،  
 و للناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه،

قال تعالى

**{ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ }**

[البقرة: 44]

وقال شعيب رضي الله عنه لقومه:

**{ وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ }** [هود: 88]

**(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانْتَهُم مُّبْتَلَيْنَ مَرْمُوسٍ )**



أي: ( وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ )

موبخا لهم على صنيعهم، ومقرعا لهم على أذيتهم، و هم يعلمون أنه رسول الله:

(لَمْ تُؤْذُونِي )

بالأقوال و الأفعال

(وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَيْ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) .

-و الرسول من حقه الإكرام و الإعظام، و الانقياد بأوامره، و الابتدار لحكمه.

-و أما أذية الرسول الذي إحسانه إلى الخلق فوق كل إحسان بعد إحسان الله،

ففي غاية الوقاحة و الجراءة و الزيغ عن الصراط المستقيم،

الذي قد علموه و تركوه،

و لهذا قال:

(فَلَمَّا زَاغُوا)

أي: انصرفوا عن الحق بقصدهم

(أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ )

عقوبة لهم على زيغهم الذي اختاروه لأنفسهم و رضوه لها،

و لم يوفقهم الله للهدى، لأنهم لا يليق بهم الخير، و لا يصلحون إلا للشر،

\*\*\*ازاغ الله قلوبهم عن الهدى و اسكنها الشك و الحيرة و الخذلان

{ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ  
يَعْمَهُونَ } [الأنعام: 110]

(وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)

أي: الذين لم يزل الفسق وصفا لهم، لا لهم قصد في الهدى،  
و هذه الآية الكريمة تفيد أن إضلال الله لعباده، ليس ظلما منه،  
و لا حجة لهم عليه، و إنما ذلك بسبب منهم،

فإنهم الذين أغلقوا على أنفسهم باب الهدى بعد ما عرفوه،  
فيجازيهم بعد ذلك بالإضلال و الزيغ الذي لا حيلة لهم في دفعه و تقليب  
القلوب عقوبة لهم وعدلا منه بهم

كما قال تعالى: { وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ  
فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } [الأنعام: 110]

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا  
 بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى  
 عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ  
 بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ  
 لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرٌ عَلَى تَجَرُّقِكُمْ مِنْ عَذَابِ  
 آلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
 ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ  
 الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ  
 فَتَآمَنَتِ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾  
 وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ  
 وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ  
 أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾  
 يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ  
 رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ

## لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١﴾

يقول تعالى مخبرا عن عناد بني إسرائيل المتقدمين،  
الذين دعاهم عيسى ابن مريم،

وقال لهم: **(وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ)**

أي: أرسلني الله لأدعوكم إلى الخير و أنهاكم عن الشر،  
و أيدني بالبراهين الظاهرة ، و مما يدل على صدقي، كوني،

**(إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ)**

أي: جئت بما جاء به موسى من التوراة و الشرائع السماوية،  
و لو كنت مدعيا للنبوّة، لجئت بغير ما جاءت به المرسلون،  
و مصدقا لما بين يدي من التوراة أيضا،  
أنها أخبرت بي و بشرت، فجئت و بعثت مصدقا لها

**(التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ)**

و هو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبي الهاشمي.  
فعيسى عليه السلام، كالأنبياء يصدق بالنبي السابق،  
و يبشر بالنبي اللاحق، بخلاف الكذابين،  
فإنهم يناقضون الأنبياء أشد مناقضة،

و يخالفونهم في الأوصاف و الأخلاق، و الأمر و النهي  
\*\*\* صحيح البخاري

4896 - عن مُحَمَّدُ بْنُ جَبْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«إِنَّ لِي أَسْمَاءَ، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ،

وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ،

وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ»

-لهذا قال الله { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ

فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ

وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ

آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }

[الأعراف: 157]

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ

مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي

قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ }

[آل عمران: 80، 81]

المعجم الكبير للطبراني

7729 - عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَانَ بُدُوَ أَمْرِكَ؟ فَقَالَ:

«دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ،

وَ رَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورَ الشَّامِ»

(فَلَمَّا جَاءَهُمْ)

محمد ﷺ الذي بشر به عيسى

**(بِالْبَيِّنَاتِ)**

أي: الأدلة الواضحة، الدالة على أنه هو، وأنه رسول الله حقا .

**(قَالُوا)** معاندين للحق مكذابين له

**(هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ)**

و هذا من أعجب العجائب، الرسول الذي قد وضحت رسالته،

و صارت أبين من شمس النهار، يجعل ساحرا بينا سحره،

فهل في الخذلان أعظم من هذا؟

و هل في الافتراء أعظم من هذا الافتراء،

الذي نفى عنه ما كان معلوما من رسالته، و أثبت له ما كان أبعد الناس منه؟

**(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ)**

\*\*\*لا احد اظلم \*

و جعل له شركاء في عبادته.

—بهذا و غيره، و الحال أنه لا عذر له، و قد انقطعت حجته،

لأنه

**(وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ)**

و يُبين له براهينه وبيئاته،

\* وهو يُدعى إلى الدخول في الإسلام و إخلاص العباداة لله وحده

**(وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)**

\* والله لا يوفق الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك، إلى ما فيه فلاحهم

الذين لا يزالون على ظلمهم مستقيمين،

لا تردهم عنه موعظة، و لا يزجرهم بيان و لا برهان،

خصوصا هؤلاء الظلمة القائمين بمقابلة الحق ليردوه، و لينصروا الباطل،  
و لهذا قال الله عنهم:

**(يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ)**

\*\*\* { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

**الْمُشْرِكُونَ** } [التوبة: 33]

أي: بما يصدر منهم من المقالات الفاسدة، التي يردون بها الحق،  
و هي لا حقيقة لها، بل تزيد البصير معرفة بما هم عليه من الباطل،

**(وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)**

أي: قد تكفل الله بنصر دينه، وإتمام الحق الذي أرسل به رسله،

و إشاعة نوره على سائر الأقطار، و لو كره الكافرون،

و بذلوا بسبب كراحتهم كل سبب يتوصلون به إلى إطفاء نور الله فإنهم  
مغلوبون.

و صاروا بمنزلة من ينفخ عين الشمس بفيه ليطفئها،

فلا على مرادهم حصولوا، و لا سلمت عقولهم من النقص و القدح فيها.  
ثم ذكر سبب الظهور و الانتصار للدين الإسلامي، الحسي و المعنوي، فقال:

**(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ)**

أي: بالعلم النافع و العمل الصالح.  
بالعلم الذي يهدي إلى الله و إلى دار كرامته،  
و يهدي لأحسن الأعمال و الأخلاق، و يهدي إلى مصالح الدنيا و الآخرة.

**(وَدِينِ الْمَلِكِ)**

أي: الدين الذي يدان به، و يتعبد لرب العالمين الذي هو حق و صدق،  
لا نقص فيه، و لا خلل يعتربه،  
بل أوامره غذاء القلوب و الأرواح، و راحة الأبدان،  
و ترك نواحيه سلامة من الشر و الفساد  
فما بعث به النبي ﷺ من الهدى و دين الحق،  
أكبر دليل و برهان على صدقه، و هو برهان باق ما بقي الدهر،  
كلما ازداد العاقل تفكرا، ازداد به فرحا و تبصرا.

**(يُظهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)**

أي: ليعليه على سائر الأديان، بالحجة و البرهان،  
و يظهر أهله القائمين به بالسيف و السنان،  
فأما نفس الدين، فهذا الوصف ملازم له في كل وقت،

فلا يمكن أن يغالبه مغالب، أو يخاصمه مخاصم إلا فلجه و بلسه،  
 و صار له الظهور و القهر،  
 و أما المنتسبون إليه، فإنهم إذا قاموا به، و استناروا بنوره، و اهدوا بهديه،  
 في مصالح دينهم و دنياهم، فكذلك لا يقوم لهم أحد،  
 و لا بد أن يظهروا على أهل الأديان،  
 و إذا ضيعوه و اكتفوا منه بمجرد الانتساب إليه، لم ينفعهم ذلك،  
 و صار إهمالهم له سبب تسليط الأعداء عليهم،  
 و يعرف هذا، من استقرأ الأحوال و نظر في أول المسلمين و آخرهم

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمۡ عَلَىٰ تَجَرُّقِنَا ۖ إِنَّكُمْ مِّنۡ عَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

يَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلِكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ

وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾

وَأُخْرَىٰ تَحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ ٱللَّهِ

كَمَا قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَن أَنصَارِي إِلَىٰ ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ

فَنَامَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكَّرُ عَلَىٰ تَحَرُّرٍ تُنجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٥﴾

هذه وصية ودلالة و إرشاد من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين،  
 لأعظم تجارة، و أجل مطلوب، و أعلى مرغوب،  
 يحصل بها النجاة من العذاب الأليم، و الفوز بالنعيم المقيم.  
 و أتى بأداة العرض الدالة على أن هذا أمر يرغب فيه كل متبصر،  
 و يسمو إليه كل لبيب، فكأنه قيل: ما هذه التجارة التي هذا قدرها؟  
 فقال

(تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ)

و من المعلوم أن الإيمان التام هو التصديق الجازم بما أمر الله بالتصديق به،  
 المستلزم لأعمال الجوارح،  
 و من أجل أعمال الجوارح الجهاد في سبيل الله  
 فلهذا قال:

(وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ)

بأن تبدلوا نفوسكم ومهجكم، لمصادمة أعداء الإسلام،  
 و القصد نصر دين الله  
 و إعلاء كلمته، و تنفقون ما تيسر من أموالكم في ذلك المطلوب،

فإن ذلك، و لو كان كريها للنفوس شاقا عليها، فإنه

**(ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)**

فإن فيه الخير الدنيوي، من النصر على الأعداء،  
و العز المنافي للذل و الرزق الواسع، و سعة الصدر و انشراحه.  
و في الآخرة الفوز بثواب الله و النجاة من عقابه،  
و لهذا ذكر الجزاء في الآخرة،

فقال: **(يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ)**

و هذا شامل للصغائر و الكبائر،  
فإن الإيمان بالله و الجهاد في سبيله، مكفر للذنوب، و لو كانت كبائر.

**(وَيَدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)**

أي: من تحت مساكنها و قصورها و غرفها و أشجارها،  
أنهار من ماء غير آسن،

و أنهار من لبن لم يتغير طعمه،

و أنهار من خمر لذة للشاربين،

و أنهار من عسل مصفى، و لهم فيها من كل الثمرات،

**(وَمَسْكِنَ طَيْبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ)**

أي: جمعت كل طيب، من علو و ارتفاع، و حسن بناء و زخرفة،

حتى إن أهل الغرف من أهل عليين،  
يتراءاهم أهل الجنة كما يتراءى الكوكب الدرّي في الأفق الشرقي أو الغربي  
و حتى إن بناء الجنة بعضه من لبن ذهب و بعضه من لبن فضة،  
و خيامها من اللؤلؤ و المرجان،  
و بعض المنازل من الزمرد و الجواهر الملونة بأحسن الألوان،  
حتى إنها من صفاتها يرى ظاهرها من باطنها، و باطنها من ظاهرها،  
و فيها من الطيب و الحسن ما لا يأتي عليه وصف الواصفين،  
و لا خطر على قلب أحد من العالمين،  
لا يمكن أن يدركوه حتى يروه،  
و يتمتعوا بحسنه و تقر أعينهم به،  
ففي تلك الحالة، لولا أن الله خلق أهل الجنة،  
و أنشأهم نشأة كاملة لا تقبل العدم، لأوشك أن يموتوا من الفرح  
فسبحان من لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه،  
بل هو كما أثنى على نفسه  
و فوق ما يشي عليه عباده و تبارك الجليل الجميل،  
الذي أنشأ دار النعيم،  
و جعل فيها من الجلال و الجمال ما يبهر عقول الخلق و يأخذ بأفئدتهم.  
و تعالی من له الحكمة التامة، التي من جملتها: -

أنه الله لو أرى الخلائق الجنة حين خلقها و نظروا إلى ما فيها من النعيم  
-لما تخلف عنها أحد،

و لما هناهم العيش في هذه الدار المنغصة،  
المشوب نعيمها بألمها، و سرورها بترحها.

**(جَنَّتِ عَدْنٍ)**

و سميت الجنة جنة عدن، لأن أهلها مقيمون فيها،  
لا يخرجون منها أبدا، و لا يبغون عنها حولا

**(ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)**

ذلك الثواب الجزيل، و الأجر الجميل، الفوز العظيم، الذي لا فوز مثله،  
فهذا الثواب الأخرى.

و أما الثواب الدنيوي لهذه التجارة، فذكره بقوله:

**وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**

**(وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا)**

أي: و يحصل لكم خصلة أخرى تحبونها و هي:

**(نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ)**

لكم على الأعداء، يحصل به العز و الفرح،

**(وَفَتْحٌ قَرِيبٌ)**

\*\*\*عاجل - تتسع به دائرة الإسلام، و يحصل به الرزق الواسع،

فهذا جزاء المؤمنين المجاهدين،

و أما المؤمنون من غير أهل الجهاد،

إذا قام غيرهم بالجهاد فلم يؤيسهم الله تعالى من فضله و إحسانه،

\*\*\*كقوله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }

[محمد: 7]

بل قال:

**(وَيَسِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)**

أي: بالثواب العاجل و الآجل، كل على حسب إيمانه،

و إن كانوا لا يبلغون مبلغ المجاهدين في سبيل الله، كما قال النبي ﷺ:

في صحيح البخاري - 2790

إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،

مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ،

فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ،

فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَ أَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ،

وَ مِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ |

ثم قال تعالى: (يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ)

أي: بالأقوال و الأفعال، و ذلك بالقيام بدين الله،

و الحرص على إقامته على الغير، و جهاد من عانده و نابذه،

بالأدان و الأموال،

و من نصر الباطل بما يزعمه من العلم و رد الحق، بدحض حجته،

و إقامة الحجة عليه، و التحذير منه.

و من نصر دين الله، تعلم كتاب الله و سنة رسوله،

و الحث على ذلك، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

ثم هيج الله المؤمنين بالافتداء بمن قبلهم من الصالحين بقوله:

(كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ)

أي: قال لهم عارضا و منهضا من يعاونني و يقوم معي في نصرتي لدين الله،

و يدخل مدخلي، و يخرج مخرجي؟

فابتدر الحواريون، قَالَ الْحَوَارِيُّونَ (نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ)

فمضى عيسى عليه السلام على أمر الله و نصر دينه،

هو و من معه من الحواريين،

\*\*\* سنن أبي داود

4734 - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْزِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ، فَقَالَ:  
«أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي»

**(فَأَمَّنتَ طَائِفَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ)**

بسبب دعوة عيسى والحواريين،

**(وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ)**

منهم، فلم ينقادوا لدعوتهم، فجاهد المؤمنون الكافرين،

**(فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ)**

أي: قويناهم و نصرناهم عليهم.

**(فَأَضْبَحُوا ظَاهِرِينَ)**

\*\*\* ببعثة محمد ﷺ

عليهم و قاهرين لهم ،

فأنتم يا أمة محمد، كونوا أنصار الله ودعاة دينه،

ينصركم الله كما نصر من قبلكم، و يظهركم على عدوكم.

\*\*\* الطبري 34066-نسائي كبري 11527

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،

قَالَ: " لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَ عِيسَى الْكَرِيمَ إِلَى السَّمَاءِ،

خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَ هُمْ فِي بَيْتٍ، اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً ،  
 فَقَالَ: أَيُّكُمْ يُلْقَى شَبْهِي عَلَيْهِ فَيُقْتَلُ مَكَانِي فَيَكُونُ مَعِي فِي دَرَجَتِي؟  
 فَقَامَ شَابٌّ مِنْ أَحَدِهِمْ سِنًّا ، فَقَالَ: أَنَا،  
 فَقَالَ: اجْلِسْ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ، فَقَامَ الشَّابُّ ،  
 فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ: اجْلِسْ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمُ الثَّلَاثَةَ،  
 فَقَالَ الشَّابُّ: أَنَا، فَقَالَ عِيسَى الصلوات: نَعَمْ أَنْتَ،

فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبْهُ عِيسَى الصلوات  
 ثُمَّ رُفِعَ عِيسَى مِنْ رَوْزَنَةٍ كَانَ فِي الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ،  
 وَ جَاءَ الطَّلَبُ مِنَ الْيَهُودِ،  
 فَأَخَذُوا الشَّابَّ لِلسَّبْهِ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ صَلَبُوهُ،  
 فَتَفَرَّقُوا ثَلَاثَ فَرَقٍ ،

١ - فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِيْنَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا شَاءَ ثُمَّ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ،  
 وَهُؤْلَاءِ الْبِعْقُوبِيَّةُ،

٢ - وَ قَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِيْنَا ابْنَ اللهِ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ،  
 وَ هُؤْلَاءِ النَّسْطُورِيَّةُ،

٣ - وَ قَالَتْ طَائِفَةٌ: كَانَ فِيْنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ رَفَعَهُ،  
 فَهُؤْلَاءِ الْمُسْلِمُونَ، فَتَظَاهَرَتِ الْكَافِرَتَانِ عَلَى الْمُسْلِمَةِ فَقَتَلُوهَا،  
 فَلَمْ يَزَلِ الْإِسْلَامُ طَامِسًا ،

حَتَّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا الصلوات، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

{ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ } [الصف: 14] ،

يَعْنِي الطَّائِفَةَ الَّتِي كَفَرَتْ فِي زَمَانِ عِيسَى الصلوات  
 وَالطَّائِفَةَ الَّتِي آمَنَتْ فِي زَمَانِ عِيسَى

{ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ } [الصف: 14]

بِإِظْهَارِ مُحَمَّدٍ ﷺ دِينَهُمْ عَلَىٰ دِينِ الْكُفَّارِ

{ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ } [الصف: 14]

صحيح مسلم

(1920) عَنْ نَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ،  
حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»، ( )

قال البخاري هم أهل العلم

وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم  
قال القاضي عياض إما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذاهب أهل الحديث  
قال الإمام النووي يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين فمنهم شجعان  
مقاتلون ومنهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم زهاد وأمرون بالمعروف وناهون عن المنكر  
ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير  
ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض  
(من خذلهم) يعني من خالفهم

[حتى يأتي أمر الله) المراد به هو الريح التي تأتي فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة]

\*\*\* صحيح مسلم 877-

عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ،  
قَالَ: اسْتَخْلَفَ مَرْوَانَ أَبَا هُرَيْرَةَ، مِثْلَهُ، غَيْرَ أَنَّ فِي رِوَايَةِ حَاتِمٍ:  
فَقَرَأَ بِسُورَةِ الْجُمُعَةِ فِي السَّجْدَةِ الْأُولَى وَ فِي الْآخِرَةِ: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي  
الْأُمَمِ مَنْ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُو أَعْلَانِيَةً مَا أُنزِلَ بِهِ مَوْزُونًا عَلَيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ  
قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلِدُ حَقُوبِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ  
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ كَفَرُوا سَوَاءٌ لَمْ يَحْمِلُوهَا  
كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ  
فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ  
بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ  
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾

أي: يسبح لله، و ينقاد لأمره، و يتألهه، و يعبده، جميع ما في السماوات

و الأرض،

لأنه (الملك)

الكامل الملك، الذي له ملك العالم العلوي و السفلي،  
فالجميع ممتلكه، و تحت تدبيره،

(القدوس)

المعظم، المنزه عن كل آفة و نقص،

(العزيز)

القاهر للأشياء كلها،

(الحكيم)

في خلقه و أمره.

فهذه الأوصاف العظيمة مما تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾

المراد (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ)

\*\*\* {وَأِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} [الزخرف: 44]

و هو ذكر لغيرهم يتذكرون به و لا ينافي قوله

{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } [الأعراف: 158]

–الذين لا كتاب عندهم، ولا أثر رسالة من العرب و غيرهم،  
ممن ليسوا من أهل الكتاب، فامتن الله تعالى عليهم، منة عظيمة،  
أعظم من منته على غيرهم، لأنهم عادمون للعلم و الخير،  
و كانوا في ضلال مبين، يتعبدون للأشجار و الأصنام و الأحجار،  
و يتخلقون بأخلاق السباع الضارية، يأكل قويهم ضعيفهم،  
و قد كانوا في غاية الجهل بعلوم الأنبياء،

(رَسُولًا مِنْهُمْ )

فبعث الله فيهم رسولا منهم، يعرفون نسبه، و أوصافه الجميلة و صدقه،  
و أنزل عليه كتابه

(يَسْأَلُوا عَلَيْهِمْ مَا يَنْتَهِ) )

القاطعة الموجبة للإيمان و اليقين،

(وَيُزَكِّيهِمْ )

بأن يحثهم على الأخلاق الفاضلة، و يفصلها لهم،  
و يزجرهم عن الأخلاق الرذيلة،

(وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)

أي: علم القرآن و علم السنة، المشتمل ذلك علوم الأولين و الآخرين،  
فكانوا بعد هذا التعليم و التركيبة منه أعلم الخلق،  
بل كانوا أئمة أهل العلم و الدين، و أكمل الخلق أخلاقاً،  
و أحسنهم هدياً و سمتاً، اهتدوا بأنفسهم، و هدوا غيرهم،  
فصاروا أئمة المهتدين، و هداة المؤمنين،

فله عليه ببعثه هذا الرسول ﷺ، أكمل نعمة، و أجل منحة،

\*\*\* وَ هَذِهِ الْآيَةُ هِيَ مِصْدَاقُ إِجَابَةِ اللَّهِ لِخَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ دَعَا لِأَهْلِ مَكَّةَ  
{ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ  
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [البقرة: 129].

فَبَعَثَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى وَ لَهُ الْحَمْدُ وَ الْمِنَّةُ، عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَ  
طُمُوسٍ مِنَ السُّبُلِ، وَ قَدْ اشْتَدَّتِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ،  
وَ قَدْ مَقَّتْ اللَّهُ أَهْلَ الْأَرْضِ عَرَبَهُمْ وَ عَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ  
-أَي: نَزْرًا يَسِيرًا- مَمَّنْ تَمَسَّكَ بِمَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام  
وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى

{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ  
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}

وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا قَدِيمًا مَتَمَسِّكِينَ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عليه السلام  
فَبَدَّلُوهُ وَ غَيَّرُوهُ، وَ قَلَّبُوهُ وَ خَالَفُوهُ، وَ اسْتَبَدَّلُوا بِالتَّوْحِيدِ شِرْكًَا  
وَ بِالْيَقِينِ شَكًّا، وَ ابْتَدَعُوا أَشْيَاءَ لَمْ يَأْذَنْ بِهَا اللَّهُ  
وَ كَذَلِكَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ قَدْ بَدَّلُوا كُتُبَهُمْ وَ حَرَّفُوهَا وَ غَيَّرُوهَا وَ أَوَّلُوهَا،

فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِشَرَعٍ عَظِيمٍ كَامِلٍ شَامِلٍ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ،  
فِيهِ هِدَايَتُهُمْ،

وَ الْبَيَانُ لِجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ مَعَاشِهِمْ وَ مَعَادِهِمْ،  
وَ الدَّعْوَةُ لَهُمْ إِلَى مَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَ رِضَا اللَّهِ عَنْهُمْ،  
وَ النَّهْيُ عَمَّا يُقَرِّبُهُمْ إِلَى النَّارِ وَ سَخَطِ اللَّهِ. حَاكِمٌ،  
فَاصِلٌ لِجَمِيعِ الشُّبُهَاتِ وَ الشُّكُوكِ وَ الرَّيْبِ فِي الْأُصُولِ وَ الْفُرُوعِ.  
وَ جَمَعَ لَهُ تَعَالَى، وَ لَهُ الْحَمْدُ وَ الْمِنَّةُ، جَمِيعِ الْمَحَاسِنِ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَهُ،  
وَ أَعْطَاهُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَ لَا يُعْطِيهِ أَحَدًا مِنَ الْآخِرِينَ،  
فَصَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

**(وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)**

و قوله (وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ)

\*\*\* صحيح البخاري

4897 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ:

{وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} [الجمعة: 3]

قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلَاثًا، وَ فِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ،

وَ ضَعَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ،

ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ - أَوْ رَجُلٌ - مِنْ هَؤُلَاءِ:» ( )

(سورة الجمعة) أي وفيها هذه الآية

○ أي: و امتن على آخرين من غيرهم أي: من غير الأميين، ممن يأتي بعدهم،  
و من أهل الكتاب،

\*\*\*هُمْ الْأَعَاجِمُ، وَكُلُّ مَنْ صَدَّقَ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ غَيْرِ الْعَرَبِ.

(لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ): أي: فيمن باشر دعوة الرسول،

و يحتمل أنهم لما يلحقوا بهم في الفضل،

و يحتمل أن يكونوا لما يلحقوا بهم في الزمان،

و على كل، فكلا المعنيين صحيح،

فإن الذين بعث الله فيهم رسوله و شاهدهوه و باشروا دعوته،

حصل لهم من الخصائص والفضائل ما لا يمكن أحداً أن يلحقهم فيها،

و هذا من عزته و حكمته، حيث لم يترك عباده هملاً و لا سدى،

بل ابتعث فيهم الرسل، و أمرهم و نهاهم،

و ذلك من فضل الله العظيم، الذي يؤتیه من يشاء من عباده،

و هو أفضل من نعمته عليهم بعافية البدن و سعة الرزق،

---

{وآخرين منهم} فلما قرأها قلت من هم؟

(لما يلحقوا بهم) في الفضل

(فلم يراجعه) لم يجبه على سؤاله.

(الثريا) مجموعة من النجوم مشهورة.

(لناله) لسعى إليه وحصله.

(من هؤلاء) أي الفرس بدلالة وضع يده على سلمان رضي الله عنه]

---

و غير ذلك، من النعم الدنيوية، فلا أعظم من نعمة الدين التي هي مادة الفوز،  
و السعادة الأبدية.

**(وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)**

**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**

\*\*\* مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ مِنَ النَّبُوءَةِ الْعَظِيمَةِ، وَ مَا خَصَّ بِهِ أُمَّتَهُ مِنْ  
بَعْتِهِ ﷺ إِلَيْهِمْ.

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ  
مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِن  
الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالَمِينَ  
وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا  
بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**

\*\*\*} وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [الأعراف: 179]

لما ذكر تعالى منته على هذه الأمة، الذين ابتعث فيهم النبي الأمي، و ما خصهم الله به من المزايا والمناقب، التي لا يلحقهم فيها أحد وهم الأمة الأمية الذين فاقوا الأولين والآخريين، حتى أهل الكتاب، الذين يزعمون أنهم العلماء الربانيون و الأبحار المتقدمون،

**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا**

ذكر أن الذين حملهم الله التوراة من اليهود و كذا النصارى و أمرهم أن يتعلموها، ويعملوا بما فيها ، وأنهم لم يحملوها ولم يقوموا بما حملوا به، أنهم لا فضيلة لهم،

**كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**

و أن مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل فوق ظهره أسفارًا من كتب العلم، فهل يستفيد ذلك الحمار من تلك الكتب التي فوق ظهره؟ و هل يلحق به فضيلة بسبب ذلك؟ أم حظه منها حملها فقط؟

فهذا مثل علماء اليهود الذين لم يعملوا بما في التوراة، الذي من أجله و أعظمه الأمر باتباع محمد ﷺ و البشارة به،

و الإيمان بما جاء به من القرآن،

فهل استفاد من هذا وصفه من التوراة إلا الخيبة و الخسران و إقامة الحجة عليه؟

فهذا المثل مطابق لأحوالهم.

بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صدق رسولنا و صدق ما جاء به.

**(وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)**

أي: لا يرشدهم إلى مصالحهم، ما دام الظلم لهم وصفًا،  
و العناد لهم نعتًا و من ظلم اليهود و عنادهم،  
أنهم يعلمون أنهم على باطل، و يزعمون أنهم على حق،  
و أنهم أولياء الله من دون الناس.

**(قُلْ يَتَّيِبُهَا لِلَّهِ الَّذِي هَادُوا)**

\* اليهود

**(إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ هَادُوا)**

و لهذا أمر الله رسوله، أن يقول لهم:

إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم على الحق، و أولياء الله:

**(فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)**

و هذا أمر خفيف، فإنهم لو علموا أنهم على حق لما توقفوا عن هذا التحدي الذي جعله الله دليلا على صدقهم إن تمنوه،  
و كذبهم إن لم يتمنوه و لما لم يقع منهم مع الإعلان لهم بذلك،  
علم أنهم عالمون ببطان ما هم عليه و فساده، ولهذا قال:

**(وَلَا يَمُنُّونَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ)**

أي من الذنوب و المعاصي، التي يستوحشون من الموت من أجلها،  
\*\*\*بما يعلمون من الكفر و الظلم و الفجور

**(وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)**

فلا يمكن أن يخفى عليه من ظلمهم شيء،  
هذا و إن كانوا لا يتمنون الموت بما قدمت أيديهم، و يفرون منه غاية الفرار،  
فإن ذلك لا ينجيهم، بل لا بد أن يلاقيهم الموت الذي قد حتمه الله على  
العباد و كتبه عليهم.

**(قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالَمِ  
وَالشَّهَادَةِ)**

ثم بعد الموت واستكمال الآجال، يرد الخلق كلهم يوم القيامة إلى عالم الغيب  
و الشهادة،

\*\*\*كقوله {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ}

[النساء: 78]

(فِيئَتِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

فِينَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، من خیر و شر، قلیل و کثیر.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ<sup>ع</sup>

ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ  
وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا  
انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾

سورة المنافقون- و هي مكية- بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا لَوْ أَنشَدُوكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لِرَسُولِهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ إِنَّ

الْمُتَنَفِقِينَ لَكَذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ \* وَإِذَا

رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهمْ خَشَبٌ مُسْتَدَدٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ

صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاذْرَهُمْ فَتَالَهُمُ اللَّهُ أَلَيْسَ بِتُوفَى كُونَ ﴿٤﴾

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ

وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ

فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ

وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾

\*\*\* صحيح مسلم

(854) عن أَبِي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خَلِقَ آدَمُ، وَ فِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَ فِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا»

---

\*\*\* صحيح البخاري -935

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: «فِيهِ سَاعَةٌ، لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَ هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» وَ أَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا

\*\*\* وَ قَدْ كَانَ يُقَالُ لَهُ فِي اللُّغَةِ الْقَدِيمَةِ يَوْمُ الْعُرُوبَةِ. وَ ثَبَتَ أَنَّ الْأُمَّمَ قَبْلَنَا أَمَرُوا بِهِ فَضَلُّوا عَنْهُ، وَ اخْتَارَ الْيَهُودُ يَوْمَ السَّبْتِ الَّذِي لَمْ يَقَعْ فِيهِ خَلْقٌ وَ اخْتَارَ النَّصَارَى يَوْمَ الْأَحَدِ الَّذِي ابْتَدَى فِيهِ الْخَلْقُ، وَ اخْتَارَ اللَّهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الَّذِي أَكْمَلَ اللَّهُ فِيهِ الْخَلِيقَةَ،

\*\*\* صحيح البخاري -876

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيِّدَ أَنَّهُمْ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ، فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللَّهُ،

---

قَالَ النَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعُ الْيَهُودِ غَدًا، وَ النَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ» ( )

صحيح مسلم - 856

عَنْ حُدَيْفَةَ، : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
«أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ،  
وَ كَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ،  
فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ، وَ السَّبْتَ، وَ الْأَحَدَ،  
وَ كَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا،  
وَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَاتِقِ»

**رَبَاتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ**

يأمر تعالى عباده المؤمنين بالحضور لصلاة الجمعة و المبادرة إليها،  
من حين ينادى لها والسعي إليها،

**فَأَسْعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**

و المراد بالسعي هنا: المبادرة إليها و الاهتمام لها، و جعلها أهم الأشغال،  
لا العدو الذي قد نهي عنه عند المضي إلى الصلاة،

(الآخرون) زمانا.

(السابقون) منزلة وفضلا.

(بيد) غير.

(يومهم) الذي فرض عليهم تعظيمه والاجتماع فيه.

[لنا فيه تبع) يأتون من ورائنا كالخدم]

\*\*\*كفوله

{وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا}

[الإسراء: 19]

و نهي النبي عن المشي السريع:

صحيح البخاري

636 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ، فَاَمْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ

وَ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ،

وَ لَا تُسْرِعُوا،

فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَ مَا فَاتَكُمْ فَأْتِمُوا» ( )

\*\*\*وَ إِمَّا يُؤْمَرُ بِحُضُورِ الْجُمُعَةِ الرَّجَالُ الْأَحْرَارُ دُونَ النِّسَاءِ وَ الْعَبِيدِ

وَ الصَّبِيَّانِ،

وَ يُعَدَّرُ الْمُسَافِرُ وَ الْمَرِيضُ، وَ قِيمَ الْمَرِيضِ،

وَ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْدَارِ، كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي كِتَابِ الْفُرُوعِ.

و قوله:

**(وَذَرُوا الْبَيْعَ)**

أي: اتركوا البيع، إذا نودي للصلاة، و امضوا إليها.

(الوقار) حسن السميت من خفض الصوت وعدم الالتفات و غرض البصر

\*\*\* وَ لِهَذَا اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى تَحْرِيمِ الْبَيْعِ بَعْدَ النِّدَاءِ الثَّانِي  
فإن (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ)

من اشتغالكم بالبيع، و تفويتكم الصلاة الفريضة، التي هي من آكد الفروض.

(إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

أن ما عند الله خير و أبقى، و أن من آثر الدنيا على الدين،  
فقد خسر الخسارة الحقيقية، من حيث ظن أنه يربح،  
و هذا الأمر بترك البيع مؤقت مدة الصلاة.

(فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ)

لطلب المكاسب و التجارات و لما كان الاشتغال في التجارة،  
مظنة الغفلة عن ذكر الله، أمر الله بالإكثار من ذكره، فقال:

(وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا)

أي في حال قيامكم و قعودكم و على جنوبكم،

(لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ)

فإن الإكثار من ذكر الله أكبر أسباب الفلاح.

(وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا)

\* جاء في الصحيح المسند من اسباب النزول:

صحيح البخاري 936

جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ:

بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَتْ عَيْرٌ تَحْمِلُ طَعَامًا،  
فَالْتَفَتُوا إِلَيْهَا حَتَّى مَا بَقِيَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا،  
فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ:

**{وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا} [الجمعة: 11] (□)**

أي: خرجوا من المسجد، حرصًا على ذلك اللهو، و تلك التجارة،  
و تركوا الخير،

**(وَتَرَكُوكَ قَائِمًا)**

\*\*\* صحيح مسلم - 862

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ:

«كَانَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ خُطْبَتَانِ يَجْلِسُ بَيْنَهُمَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَ يُذَكِّرُ النَّاسَ»

تخطب الناس، وذلك في يوم جمعة، بينما النبي ﷺ يخطب الناس،

إذ قدم المدينة، عير تحمل تجارة،

فلما سمع الناس بها، و هم في المسجد، انفضوا من المسجد،

و تركوا النبي ﷺ يخطب استعجالا لما لا ينبغي أن يستعجل له، و ترك أدب،

**(قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ)**

(عير) الإبل التي تحمل التجارة من طعام أو غيره والمراد بالطعام الحنطة وما شابهها.

(فالتفتوا إليها) انصرفوا.

(لهوا) هو الطبل الذي كان يضرب به إعلاما بقدوم التجارة.

(انفضوا) تفرقوا

من الأجر و الثواب، لمن لازم الخير و صبر نفسه على عبادة الله.

**(خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ الْجَزْرِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزْقِينَ)**

التي، و إن حصل منها بعض المقاصد،  
فإن ذلك قليل منغص، مفوت لخير الآخرة،  
و ليس الصبر على طاعة الله مفوتًا للرزق،

**(وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزْقِينَ)**

فإن الله خير الرازقين، فمن اتقى الله رزقه من حيث لا يحتسب.  
و في هذه الآيات فـوائد عديدة:

- 1- أن الجمعة فريضة على جميع المؤمنين، يجب عليهم السعي لها،  
و المبادرة و الاهتمام بشأنها.
- 2- أن الخطبتين يوم الجمعة، فريضتان يجب حضورهما،  
لأنه فسر الذكر هنا بالخطبتين، فأمر الله بالمضي إليه والسعي له.
- 3- مشروعية النداء ليوم الجمعة، و الأمر به.
- 4- النهى عن البيع والشراء، بعد نداء الجمعة، و تحريم ذلك،  
و ما ذاك إلا لأنه يفوت الواجب ويشغل عنه،  
فدل ذلك على أن كل أمر و لو كان مباحًا في الأصل،  
إذا كان ينشأ عنه تفويت واجب، فإنه لا يجوز في تلك الحال.
- 5- الأمر بحضور الخطبتين يوم الجمعة، و ذم من لم يحضرهما،

و من لازم ذلك الإنصات لهما.

6- أنه ينبغي للعبد المقبل على عبادة الله، وقت دواعي النفس لحضور اللهو و التجارات و الشهوات، أن يذكرها بما عند الله من الخيرات، و ما لمؤثر رضاه على هواه.

### 63- تفسير سورة المنافقين- وهي مدنية- بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعِ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشِبٌ مُسْنَدَةٌ يُحْسِبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ فَنَلَّهْمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ



\* جاء في الصحيح المسند من اسباب النزول

صحيح البخاري

4900 - عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، قَالَ:

كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِيٍّ يَقُولُ-

1- لَا تَنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفِضُوا مِنْ حَوْلِهِ،

2- وَ لَنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرُ مِنْهَا الْأَذَلَّ،

فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعِمْرٍ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ،  
فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ،

فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَأَصْحَابِهِ،  
فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَدَّقَهُ،  
فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ،  
فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَيَّ أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَقَّتَكَ؟  
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ} [المنافقون: 1]  
فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَرَأَ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ»

لما قدم النبي ﷺ المدينة، و كثر المسلمون في المدينة و اعترز الإسلام بها ،  
صار أناس من أهلها من الأوس و الخزرج،  
يظهرون الإيمان و يبطنون الكفر،  
ليبقى جاههم، و تحقن دماؤهم، و تسلم أموالهم،  
فذكر الله من أوصافهم ما به يعرفون، لكي يحذر العباد منهم،  
و يكونوا منهم على بصيرة، فقال:

{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا}

على وجه الكذب:

{شَهِدُوا إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ}

و هذه الشهادة من المنافقين على وجه الكذب و النفاق،

مع أنه لا حاجة لشهادتهم في تأييد رسوله، فإن

**(وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)**

في قولهم و دعواهم، و أن ذلك ليس بحقيقة منهم.

**(اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً)**

أي: ترسًا يتترسون بها من نسبتهم إلى النفاق.

**(فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)**

فصدوا عن سبيله بأنفسهم، و صدوا غيرهم ممن يخفى عليه حالهم،

**(إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)**

حيث أظهروا الإيمان و أبطنوا الكفر،

و أقسموا على ذلك و أوهموا صدقهم.

**(ذَلِكَ)**

الذي زين لهم النفاق

(ب) سبب

**(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَشْتَرُوا عَلَى الْإِيمَانِ)**

لا يشتون على الإيمان.

بل

**(ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ)**

بحيث لا يدخلها الخير أبداً،

**(فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ)**

ما ينفعهم، و لا يعون ما يعود بمصالحهم.

**(وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ)**

من روائها و نضارتها،

\*\*\* كانوا أشكالا حسنة

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ فِي غَايَةِ الضَّعْفِ وَ الخور وَ الهَلَعِ وَ الْجَزَعِ وَ الْجُبْنِ

كقوله {أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا}

[الأحزاب: 19]

**(وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ<sup>ط</sup>)**

\*\*\* وَ ذَوِي فَصَاحَةٍ وَ أَلْسِنَةٍ، إِذَا سَمِعَهُمُ السَّامِعُ يُضْغِي إِلَى قَوْلِهِمْ لِبَلَاغَتِهِمْ،

أي: من حسن منطقهم تستلذ لاستماعه، فأجسامهم و أقوالهم معجبة، و لكن ليس وراء ذلك من الأخلاق الفاضلة و الهدى الصالح شيء،

و لهذا قال: **(كَانَتْهُمْ حُشْبٌ مُمَسَّنَدَةٌ<sup>ط</sup>)**

لا منفعة فيها، و لا ينال منها إلا الضرر المحض،  
\* و هم لفراغ قلوبهم من الإيمان، و عقولهم من الفهم و العلم  
النافع كالأخشاب الملقاة على الحائط، التي لا حياة فيها: الميسر

**(يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ)**

و ذلك لجنهم و فرعهم و ضعف قلوبهم،  
و الريب الذي في قلوبهم يخافون أن يطلع عليهم.

**فهؤلاء (هُمُ الْعَدُوُّ)**

على الحقيقة، لأن العدو البارز المتميز، أهون من العدو الذي لا يشعر به،  
و هو مخادع ماكر، يزعم أنه ولي، و هو العدو المبين،

**(فَأَحْذَرَهُمْ فَنَالَهُمُ اللَّهُ)**

أخزاهم الله و طردهم من رحمته: الميسر

**(أَنِّي يُؤْفَكُونَ)**

أي: كيف يصرفون عن الدين الإسلامي بعد ما تبينت أدلته، و اتضحت معالمه،  
إلى الكفر الذي لا يفيدهم إلا الخسار و الشقاء.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأَوْا بِرُءُوسِهِمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَالِيَّ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَاللَّحْزَانُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُتَنَفِّقِينَ لَا يَفْقَهُونَ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُتَنَفِّقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأَوْا بِرُءُوسِهِمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾

\*\*\*صحيح البخاري

4905 - عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا فِي عَزَاةٍ - قَالَ سُفْيَانُ: مَرَّةً فِي جَيْشٍ -

فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ،  
فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ،  
وَ قَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ،  
فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»  
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ،  
فَقَالَ: «دَعْوَاهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ»  
فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي،  
فَقَالَ: فَعَلَوْهَا، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ،  
فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَامَ عُمَرُ  
فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ،  
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»  
وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ،  
ثُمَّ إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ، ( )

صحيح البخاري

4904 - عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، قَالَ:

كُنْتُ مَعَ عَمِّي فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي إِبْنِ سَلُولٍ، يَقُولُ :

1- لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْقُضُوا،

2- وَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ،

فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي، فَذَكَرَ عَمِّي لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ،

- كَسَعَ: أَنَّهُ ضَرَبَ الدُّبْرَ بِالْيَدِ أَوْ بِالرَّجْلِ

فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَ أَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا،  
 وَ كَذَّبَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَ صَدَّقَهُمْ،  
 فَأَصَابَنِي غَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي بَيْتِي،  
 وَ قَالَ عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلى أَنْ كَذَّبَكَ النَّبِيُّ ﷺ وَ مَقَّتَكَ؟  
 فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: **{ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا: نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ }**  
 [المنافقون: 1]

وَ أَرْسَلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَفَقَرَأَهَا، وَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ»

**(وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ )** لهؤلاء المنافقين

**(تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ)**

عما صدر منكم، لتحسن أحوالكم، و تقبل أعمالكم،  
 امتنعوا من ذلك أشد الامتناع،

**(لَوْ رَأَوْهُمُ)**

امتناعاً من طلب الدعاء من الرسول،

\* أمالوا رؤوسهم و حركوها استهزاءً و استكباراً: الميسر

**(وَ رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ)**

عن الحق بغضاً له

**(وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ)**

عن اتباعه بغياً و عناداً،

فهذه حالهم عندما يدعون إلى طلب الدعاء من الرسول،  
و هذا من لطف الله و كرامته لرسوله: -  
حيث لم يأتوا إليه، فيستغفر لهم،

**(سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ)**

فإنه سواء استغفر لهم أم لم يستغفر لهم فلن يغفر الله لهم،

**(إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)**

و ذلك لأنهم قوم فاسقون، خارجون عن طاعة الله،  
مؤثرون للكفر على الإيمان، فلذلك لا ينفع فيهم استغفار الرسول،  
لو استغفر لهم كما قال تعالى:

**{اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}**

[التوبة: 80]

**هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ**

**السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى**

**الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَ الْأَعْرَضُ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**

**وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾**

و هذا من شدة عداوتهم للنبي ﷺ والمسلمين،  
لما رأوا اجتماع أصحابه و ائتلافهم، و مسارعتهم في مرضاة الرسول ﷺ،  
قالوا بزعمهم الفاسد:

**(هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا)**

\* هؤلاء المنافقون هم الذين يقولون لأهل المدينة -  
لا تنفقوا على أصحاب رسول الله من المهاجرين حتى يتفرقوا  
عنه: الميسر

فإنهم - بزعمهم - لولا أموال المنافقين و نفقاتهم عليهم،  
لما اجتمعوا في نصره دين الله،  
و هذا من أعجب العجب:

أن يدعى هؤلاء المنافقون الذين هم أحرص الناس على خذلان الدين،  
و أذية المسلمين، مثل هذه الدعوى، التي لا تروج  
إلا على من لا علم له بحقائق الأمور و لهذا قال الله ردًا لقولهم:

**(وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)**

فيؤتي الرزق من يشاء، و يمنعه من يشاء،  
و ييسر الأسباب لمن يشاء، و يعسرهما على من يشاء،

**(وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ)**

فلذلك قالوا تلك المقالة،

التي مضمونها أن خزائن الرزق في أيديهم، و تحت مشيئتهم.

**(يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَىٰ)**

و ذلك في غزوة المريسيع، -

حين صار بين بعض المهاجرين و الأنصار، بعض كلام كدر الخواطر،  
ظهر حينئذ نفاق المنافقين، و أظهروا ما في نفوسهم .

و قال كبيرهم، عبد الله بن أبي بن سلول:

ما مثلنا ومثل هؤلاء - يعني المهاجرين - إلا كما قال القائل:

**« غَدَ كَلْبِكَ يَا كَلْبَكَ »**

و قال: لئن رجعنا إلى المدينة

**(الْمَدِينَةَ لِيُخْرِجَ الْأَعْرُضَ مِنْهَا الْأَذْلَىٰ)**

بزعمه أنه هو وإخوانه من المنافقين الأذلون،

و أن رسول الله و من معه هم الأذلون،

و الأمر بعكس ما قال هذا المنافق، فلهذا قال تعالى:

**(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)**

فهم الأعداء، و المنافقون و إخوانهم من الكفار هم الأذلاء.

**(وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)**

ذلك فلذلك زعموا أنهم الأعداء، اغتراراً بما هم عليه من الباطل،

ثم قال تعالى:

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ  
يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ  
يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ  
الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

**(يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ)**

يأمر تعالى عباده المؤمنين بالإكثار من ذكره،  
فإن في ذلك الربح و الفلاح، و الخيرات الكثيرة،  
و ينهاهم أن تشغلهم أموالهم و أولادهم عن ذكره،  
فإن محبة المال و الأولاد مجبولة عليها أكثر النفوس، فتقدمها على محبة الله،  
و في ذلك الخسارة العظيمة، ولهذا قال تعالى:

**(وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ)**

أي: يلهه ماله و ولده، عن ذكر الله

**(فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)**

للسعادة الأبدية، و النعيم المقيم،

لأنهم آثروا ما يفنى على ما يبقى، قال تعالى:

{ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ } [التغابن: 15]

و قوله: (وَأَنْفِقُوا)

يدخل في هذا، النفقات الواجبة، من الزكاة و الكفارات و نفقة الزوجات، و المماليك، و نحو ذلك، و النفقات المستحبة، كبدل المال في جميع المصالح، و قال:

(مِنْ مَّا رَزَقْنَكُمْ)

ليدل ذلك على أنه تعالى، لم يكلف العباد من النفقة، ما يعنتهم و يشق عليهم، بل أمرهم بإخراج جزء مما رزقهم الله الذي يسره لهم و يسر لهم أسبابه. فليشكروا الذي أعطاهم

1- بمواساة إخوانهم المحتاجين،

2- و ليبادروا بذلك، الموت الذي إذا جاء،

لم يمكن العبد أن بمثقال ذرة من الخير، و لهذا قال:

(مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ)

\*\*\* كقوله في الكفار:-

{ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا

تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ

[المؤمنون: 99، 100]

متحسراً على ما فرط في وقت الإمكان، سائلاً الرجعة التي هي محال:

**(فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ)**

أي: لأتدارك ما فرطت فيه،

**(فَأَصَدَّقَ)**

من مالي، ما به أنجو من العذاب، و أستحق به جزيل الثواب،

**(وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ)**

بأداء المأمورات كلها، و اجتناب المنهيات،

و يدخل في هذا، الحج و غيره،

و هذا السؤال و التمني، قد فات وقته، و لا يمكن تداركه، و لهذا قال:

**(وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا)**

المحتوم لها

\*\*\*لَا يَنْظُرُ أَحَدًا بَعْدَ حُلُولِ أَجَلِهِ، وَ هُوَ أَعْلَمُ وَ أَخْبَرُ مِمَّنْ يَكُونُ صَادِقًا

فِي قَوْلِهِ وَ سْؤَالِهِ مِمَّنْ لَوْ رُدَّ لَعَادَ إِلَىٰ شَرِّ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ

\*{بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ

**لَكَاذِبُونَ } [الأنعام 28]**

**وَ لِهَذَا قَالَ (وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)**

من خير و شر، فيجازيكم على ما علمه منكم، من النيات و الأعمال.

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾  
 هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ  
 مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَدَاقُوا  
 وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ سُلُوبُهُمْ بِالْبَيْتِ فَقَالُوا أَبَشَرًا يَهْدُونَنَا  
 فَكُفِرُوا وَقَوْلُوا أَوَسْتَعَفَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَفِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِبُرُؤِهِمْ  
 لَنْ نَبُوءَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَتَأْتُوا بِاللَّيْلِ سُورِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا  
 تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمِلْ صَالِحًا  
 يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا

ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا

فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾

(تُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ط)

هذه الآيات الكريمت ، مشتملات على جملة كثيرة واسعة،  
من أوصاف الباري العظيمة، فذكر كمال ألوهيته تعالى، و سعة غناه،  
و افتقار جميع الخلائق إليه،

و تسبيح من في السماوات و الأرض بحمد ربها،

(لَهُ الْمُلْكُ)

و أن الملك كله لله، فلا يخرج مخلوق عن ملكه،

(وَلَهُ الْحَمْدُ ط)

و الحمد كله لله:-

1- حمد على ما له من صفات الكمال،

2- و حمد على ما أوجده من الأشياء،

3- و حمد على ما شرعه من الأحكام، و أسداه من النعم.

ط (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

و قدرته شاملة، لا يخرج عنها موجود، فلا يعجزه شيء يريد.

(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ع)

و ذكر أنه خلق العباد، و جعل منهم المؤمن و الكافر،  
فإيمانهم و كفرهم كله، بقضاء الله و قدره، و هو الذي شاء ذلك منهم،  
بأن جعل لهم قدرة و إرادة، بها يتمكنون من كل ما يريدون من الأمر و النهي،

**(وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)** .

فلما ذكر خلق الإنسان المكلف بالمأمور المنهي،  
ذكر خلق باقي المخلوقات، فقال:

**(خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ)**

أي: أجرامهما، و جميع ما فيهما، فأحسن خلقهما،

**(بِالْحَقِّ)**

أي: بالحكمة، و الغاية المقصودة له تعالى،

**(وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ)**

\*\*\*كقوله { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ 6 الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ

فَعَدَّلَكَ 7 فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ } [الانفطار: 6 - 8]

كما قال تعالى:

**{ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ } [التين: 4]**

فالإنسان أحسن المخلوقات صورة، و أبهاها منظرًا.

**(وَالَيْهِ الْمَصِيرُ)**

أي: المرجع يوم القيامة، فيجازيكم على إيمانكم و كفركم،  
و يسألكم عن النعم و النعيم، الذي أولاكموه  
هل قمتم بشكره، أم لم تقوموا بشكره؟

ثم ذكر عموم علمه، فقال: **(يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)**  
أي: من السرائر و الظواهر، و الغيب و الشهادة.

**(وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلِنُونَ)**

أي: بما فيها من الأسرار الطيبة،  
و الخبايا الخبيثة،  
و النيات الصالحة،  
و المقاصد الفاسدة،

**وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**

فإذا كان عليماً بذات الصدور، تعين على العاقل البصير،  
أن يحرص و يجتهد في حفظ باطنه، من الأخلاق الرذيلة،  
و اتصافه بالأخلاق الجميلة.

**الْمُرْيَاتِكُمْ نَبُوءَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ  
كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَعَالُوا أ\_Bَشْرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَآسْتَفَعَى اللَّهُ**

**وَاللَّهُ عَنِّي حَمِيدٌ ﴿٦﴾**

لما ذكر تعالى من أوصافه الكاملة العظيمة، ما به يعرف و يعبد،  
و يبذل الجهد في مرضاته، و تجتنب مساحطه،

**(الْمُرْيَاتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ)**

أخبر بما فعل بالأمم السابقين، و القرون الماضين،  
الذين لم تنزل أنباؤهم يتحدث بها المتأخرون، و يخبر بها الصادقون،  
و أنهم حين جاءتهم الرسل بالحق، كذبوهم و عاندوهم،

**(فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ)**

فأذاقهم الله وبال أمرهم في الدنيا، و أخزاهم فيها،

**(وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)**

في الدار الآخرة، و لهذا ذكر السبب في هذه العقوبة فقال:

**(ذَلِكَ)**

النكال و الوبال، الذي أحللناه بهم

**(وَأَنَّهُ كَانَتْ تَأْنِيهِمْ رُسُلَهُمْ بِالْيَتْنِ)**

أي: بالآيات الواضحات، الدالة على الحق و الباطل، فاشمأزوا،  
و استكبروا على رسلهم،

**(فَقَالُوا أَبَشْرٌ مِثْلُنا)**

أي: فليس لهم فضل علينا، و لأي: شيء خصهم الله دوننا،

كما قال في الآية الأخرى:

**{قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} [إبراهيم: 11]**

فهم حجروا فضل الله و منته على أنبيائه أن يكونوا رسلا للخلق،  
و استكبروا عن الانقياد لهم، فابتلوا بعبادة الأحجار و الأشجار و نحوها

**(فَكَفَرُوا)**

بالله

**(وَتَوَلَّوْا)**

عن طاعة الله،

**(وَأَسْتَعْنَىٰ اللَّهُ)**

عنهم، فلا يبالى بهم، و لا يضره ضلالهم شيئاً،

**(وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)**

أي: هو الغني، الذي له الغنى التام المطلق، من جميع الوجوه،  
الحميد في أقواله و أفعاله و أوصافه.

**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ**

**وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ**

**(زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا)**

يخبر تعالى عن عناد الكافرين، و زعمهم الباطل،  
و تكذيبهم بالبعث بغير علم و لا هدى و لا كتاب منير،

**(قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ)**

\*\*\* وَ هَذِهِ هِيَ الْآيَةُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يُقْسِمَ بِرَبِّهِ،  
عَزَّ وَجَلَّ، عَلَىٰ وَقُوعِ الْمَعَادِ وَ وُجُودِهِ

فَالأُولَىٰ فِي سُورَةِ يُونُسَ: {وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ

**بِمُعْجِزِينَ} [يُونُسَ: 53]**

وَ الثَّانِيَةُ فِي سُورَةِ سَبَأٍ: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي

**لَأَتِيَنَّكُمْ} الْآيَةُ [سَبَأٍ: 3]**

فَأَمَرَ أَشْرَفَ خَلْقِهِ، أَنْ يَقْسِمَ بِرَبِّهِ عَلَىٰ بَعْثِهِمْ،  
وَ جَزَائِهِمْ بِأَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ، وَ تَكْذِيبِهِمْ بِالْحَقِّ،

**(وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)**

فإنه وإن كان عسيرًا بل متعذرًا بالنسبة إلى الخلق،

فإن قواهم كلهم لو اجتمعت على إحياء ميت واحد ، ما قدروا على ذلك.

و أما الله تعالى، فإنه إذا أراد أمرًا فإنما يقول له كن فيكون، قال تعالى:

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ

**نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [الزمر: 68]**

**فَاتَمَّنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**



لما ذكر تعالى إنكار من أنكر البعث، و أن ذلك منهم موجب كفرهم بالله  
و آياته، أمر بما يعصم من الهلكة والشقاء،

**(فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالنُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا)**

و هو الإيمان بالله ورسوله و كتابه، و سماه الله نوراً،  
فإن النور ضد الظلمة،

و ما في الكتاب الذي أنزله الله من الأحكام و الشرائع و الأخبار،  
أنوار يهتدى بها في ظلمات الجهل المدلهمة،

و يمشى بها في حندس الليل البهيم،

و ما سوى الاهتداء بكتاب الله، فهي علوم ضررها أكثر من نفعها،  
و شرها أكثر من خيرها، بل لا خير فيها و لا نفع،

إلا ما وافق ما جاءت به الرسل،

و الإيمان بالله ورسوله و كتابه، يقتضي الجزم التام، و اليقين الصادق بها،  
و العمل بمقتضى ذلك التصديق، من امتثال الأوامر، و اجتناب المناهي

**(وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)**

فيجازيكم بأعمالكم الصالحة و السيئة.

**يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِّرْ عَنْهُ**

**سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**

## ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾

### يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ يَوْمَ الْجَمْعِ

\*\*\* كقوله {ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ} [هود: 103]

يعني: اذكروا يوم الجمع الذي يجمع الله به الأولين و الآخرين،

و يفقههم موقفاً هائلاً عظيماً، و يبيئهم بما عملوا،

فحينئذ يظهر الفرق و التفاوت بين الخلائق،

و يرفع أقوام إلى أعلى عليين، في الغرف العاليات، و المنازل المرتفعات،

المشتملة على جميع اللذات و الشهوات،

و يخفض أقوام إلى أسفل سافلين، محل الهم و الغم، و الحزن،

و العذاب الشديد،

و ذلك نتيجة ما قدموه لأنفسهم، و أسلفوه أيام حياتهم،

و لهذا قال: (ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ)

فتح القدير

لسان العرب

أي: يظهر فيه التغابن و التفاوت بين الخلائق، و يغبن المؤمنون الفاسقين،

و يعرف المجرمون أنهم على غير شيء، و أنهم هم الخاسرون،

فكانه قيل: بأي شيء يحصل الفلاح و الشقاء و النعيم و العذاب؟

\*\*\* قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَعْْبُونَ أَهْلَ النَّارِ. وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ وَ مُجَاهِدٌ.  
وَ قَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ:  
لَا عَبْنَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُدْخَلَ هَوْلَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيُذْهَبَ بِأَوْلَيْكَ إِلَى النَّارِ.  
قُلْتُ: وَ قَدْ فَسَّرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

**{وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ  
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبئسَ الْمَصِيرُ}**

فذكر تعالى أسباب ذلك بقوله: **(وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ)**  
أي: إيمانًا تامًا، شاملًا لجميع ما أمر الله بالإيمان به،

**(وَيَعْمَلْ صَالِحًا)**

من الفرائض و النوافل، من أداء حقوق الله و حقوق عباده.

**يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**

فيها ما تشتهيهِ الأنفس، و تلذ الأعين، و تختاره الأرواح، و تحن إليه القلوب،  
و يكون نهاية كل مرغوب،

**(خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)**

## \*حاء في فتح القدير: عودة

و ذلك أنه يغبن فيه بعض أهل المحشر بعضاً،  
فيغبن فيه أهل الحق أهل الباطل  
و يغبن فيه أهل الإيمان أهل الكفر و أهل الطاعة أهل المعصية،  
و لا غبن أعظم من غبن أهل الجنة أهل النار عند دخول هؤلاء  
الجنة و هؤلاء النار،  
فنزلوا منازلهم التي كانوا سينزلونها لو لم يفعلوا ما يوجب النار،  
فكان أهل النار استبدلوا الخير بالشر و الجيد بالرديء و النعيم  
بالعذاب، و أهل الجنة على العكس من ذلك.  
يقال غبنت فلاناً: إذا بايعته أو شاريته فكان النقص عليه و الغلبة،  
كذا قال المفسرون، فالمغبون من غبن أهله و منازلهم في الجنة

\*جاء في لسان العرب: عودة

و يوم التَّغَابُنِ يوم البعث

و قيل سمي بذلك

لأن أهل الجنة يَغْبِنُ فيه أهل النار بما يصير إليه أهل الجنة من النعيم و يَلْقَى فيه أهل النار من العذاب الجحيم و يَغْبِنُ من ارتفعت منزلته في الجنة من كان دُونَ منزلته و ضرب الله ذلك مثلاً للشراء و البيع

كما قال تعالى (هل أدلكم على تجارة تُنجيكم من عذاب أليم)

وسئل الحسن عن قوله تعالى ذلك يومُ التَّغَابُنِ

فقال غَبَنَ أهل الجنة أهل النار أي استنقصوا عقولهم باختيارهم

الكفر على الإيمان

و نظر الحسن إلى رجل غَبَنَ آخر في بيع

فقال إن هذا يَغْبِنُ عقلك أي ينقصه و غَبِنَ الثوب يَغْبِنُهُ غَبْنًا كفه

و في التهذيب طال فثناه وكذلك كَبَنه

و ما قُطِعَ من أطراف الثوب فأسقط غَبْنٌ

و قال الأعشى يُساقطها كسقاط الغَبْنِ

و الغَبْنُ ثني الشيء من دَلُو أو ثوب لينقص من طوله ابن شميل

يقال هذه الناقة ما شئت من ناقة ظهراً و كراماً غير أنها مغبونة

لا يعلم ذلك منها وقد غَبِنُوا خبرها و غَبِنُوهَا أي لم يعلموا علمها

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ  
 الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ  
 شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ  
 الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
 آمَنُوا إِنِّي مِنْ أَوْلَادِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَنْكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا  
 وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ كُفْرَتُهُ وَاللَّهُ  
 عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا  
 لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا  
 حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾  
 عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا

وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا)

أي: كفروا بها من غير مستند شرعي ولا عقلي،

بل جاءتهم الأدلة و البينات، فكذبوا بها، و عاندوا ما دلت عليه.

**(أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)**

لأنها جمعت كل بؤس و شدة، و شقاء و عذاب.

**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ**

**عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا**

**الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾**

يقول تعالى: ( **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ** )

\*\*\*كقوله { **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ**

**قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** } [الحديد: 22]

هذا عام لجميع المصائب، في النفس، و المال، و الولد، و الأحباب، و نحوهم،

فجميع ما أصاب العباد، فبقضاء الله و قدره،

قد سبق بذلك علم الله تعالى، و جرى به قلمه، و نفذت به مشيئته،

و اقتضته حكمته، و الشأن كل الشأن:

هل يقوم العبد بالوظيفة التي عليه في هذا المقام، أم لا يقوم بها؟

فإن قام بها، فله الثواب الجزيل، و الأجر الجميل، في الدنيا و الآخرة،

**(وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)**

فإذا آمن أنها من عند الله، فرضي بذلك، و سلم لأمره، هدى الله قلبه،

فاطمأن ولم ينزعج عند المصائب، كما يجري لمن لم يهد الله قلبه،  
بل يرزقه الثبات عند ورودها و القيام بموجب الصبر،  
فيحصل له بذلك ثواب عاجل،  
مع ما يدخر الله له يوم الجزاء من الثواب

كما قال تعالى: {إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: 10]

و علم من هذا أن: - من لم يؤمن بالله عند ورود المصائب،  
بأن لم يلحظ قضاء الله و قدره،

بل وقف مع مجرد الأسباب، أنه يخذل، و يكله الله إلى نفسه،  
و إذا وكل العبد إلى نفسه،

فالنفس ليس عندها إلا الجزع و الهلع الذي هو عقوبة عاجلة على العبد،  
قبل عقوبة الآخرة،

على ما فرط في واجب الصبر. هذا ما يتعلق بقوله:  
في مقام المصائب الخاص،

و أما ما يتعلق بها من حيث العموم اللفظي،  
فإن الله أخبر أن كل من آمن

أي: الإيمان المأمور به، من الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم  
الآخر و القدر خيره و شره،

و صدق إيمانه بما يقتضيه الإيمان من القيام بلوازمه و واجباته،

\*\*\* يَسْتَرْجِعُ

\*\*\* يَهْدِ قَلْبَهُ لِلْيَقِينِ، فَيَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ،

وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ.

عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَلْقَمَةَ فُقِّرِيَ عِنْدَهُ هَذِهِ الْآيَةُ:

**﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾** فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ:-

فَقَالَ: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيَرْضَى وَ يُسَلِّمُ.

\*\*\* صحيح مسلم (2299)

عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ،

إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ،

وَإِنْ أَصَابَتْهُ صَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»

\*\*\* وَ مَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَعَلِمَ أَنَّهَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَ قَدْرِهِ،

فَصَبَرَ وَ احْتَسَبَ وَ اسْتَسَلَّمَ لِقَضَاءِ اللَّهِ،

هُدَى اللَّهُ قَلْبَهُ، وَ عَوَّضَهُ عَمَّا فَاتَهُ مِنَ الدُّنْيَا

هُدَى فِي قَلْبِهِ، وَ يَقِينًا صَادِقًا،

وَ قَدْ يُخْلِفُ عَلَيْهِ مَا كَانَ أَخَذَ مِنْهُ، أَوْ خَيْرًا مِنْهُ.

أن هذا السبب الذي قام به العبد أكبر سبب لهداية الله له في:-

أحواله و أقواله، و أفعاله و في علمه و عمله.

و هذا أفضل جزاء يعطيه الله لأهل الإيمان، كما قال تعالى في الأخبار:

أن المؤمنين يشبههم الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة.  
وأصل الثبات: ثبات القلب وصبره، ويقينه عند ورود كل فتنة، فقال:

**{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}**

[إبراهيم: 27]

فأهل الإيمان أهدى الناس قلوبًا،

و أثبتهم عند المزعجات والمقلقات

و ذلك لما معهم من الإيمان.

وقوله: **(وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ)**

أي: في امتثال أمرهما، و اجتناب نهيهما،

فإن طاعة الله و طاعة رسوله، مدار السعادة، و عنوان الفلاح،

**(فَإِن تَوَلَّيْتُمْ)**

أي عن طاعة الله و طاعة رسوله،

**(فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)**

\*\*\* مِنْ اللَّهِ الرَّسَالَةُ، وَ عَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ وَ عَلَيْنَا التَّسْلِيمُ

أي: يبلغكم ما أرسل به إليكم، بلاغًا يبين لكم و يتضح و تقوم عليكم به

الحجة،

و ليس بيده من هدايتكم، و لا من حسابكم من شيء،

و إنما يحاسبكم على القيام بطاعة الله و طاعة رسوله، أو عدم ذلك،

عالم الغيب و الشهادة.

( **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** )

أي: هو المستحق للعبادة و الألوهية، فكل معبود سواه فباطل،

( **وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون** )

أي: فيلتمدوا عليه في كل أمر نابهم، و فيما يريدون القيام به،

فإنه لا يتيسر أمر من الأمور إلا بالله،

و لا سبيل إلى ذلك إلا بالاعتماد على الله،

و لا يتم الاعتماد على الله، حتى يحسن العبد ظنه بربه،

و يثق به في كفايته الأمر الذي اعتمد عليه به،

و بحسب إيمان العبد يكون توكله، فكلما قوي الإيمان قوي التوكل

\*\*\* **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون**

فَالأَوَّلُ خَبْرٌ عَنِ التَّوْحِيدِ، وَ مَعْنَاهُ مَعْنَى الطَّلَبِ،

أَي: وَحَدُّوا الْإِلَهِيَّةَ لَهُ، وَ أَخْلَصُوهَا لَدَيْهِ، وَ تَوَكَّلُوا عَلَيْهِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: { **رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا** }

[المزمل: 9] .

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِتِ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ

فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا

فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾

إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ كُفْرَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِتِ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ

\* جاء في الصحيح المسند من اسباب للنزول

سنن الترمذي ت شاكر 3317

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَسَأَلَهُ، رَجُلٌ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ

[التغابن 14]

قَالَ: «هُؤُلَاءِ رَجَالٌ أَسْلَمُوا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ

وَ أَرَادُوا أَنْ يَأْتُوا النَّبِيَّ ﷺ،

فَأَبَى أَرْوَاجُهُمْ وَ أَوْلَادُهُمْ أَنْ يَدْعُوهُمْ أَنْ يَأْتُوا رَسُولَ ﷺ

فَلَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَوْا النَّاسَ قَدْ فَتَقَهُوا فِي الدِّينِ

هَمُّوا أَنْ يُعَاقِبُوهُمْ»،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ

عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ } [التغابن 14]

\* \* \* كقوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ

اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المنافقون: 9]

تحذير من الله للمؤمنين، من الاغترار بالأزواج و الأولاد،

**(عَدُوَّكُمْ)**

فإن بعضهم عدو لكم، والعدو هو الذي يريد لك الشر،  
ووظيفتك الحذر ممن هذا وصفه، والنفس مجبولة على محبة الأزواج والأولاد،  
فصح تعالى عباده أن توجب لهم هذه المحبة الانقياد لمطالب الأزواج  
والأولاد،

**(فَأَحْذَرُوهُمْ)**

و لو كان فيها ما فيها من المحذور الشرعي و رغبتهم في امتثال أوامره،  
و تقديم مرضاته بما عنده من الأجر العظيم  
المشتمل على المطالب العالية و المحاب العالية،  
و أن يؤثروا الآخرة على الدنيا الفانية المنقضية،  
و لما كان النهي عن طاعة الأزواج و الأولاد، فيما هو ضرر على العبد،  
و التحذير من ذلك،

قد يوهم الغلظة عليهم و عقابهم،

أمر تعالى بالحدز منهم، و الصفح عنهم والعفو،

فإن في ذلك، من المصالح ما لا يمكن حصره، فقال:

**(وَإِنْ تَعَفُّواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)**

لأن الجزاء من جنس العمل.

فمن عفا عفا الله عنه، و من صفح صفح الله عنه، و من غفر غفر الله له،  
○ و من عامل الله فيما يحب، و عامل عباده كما يحبون و ينفعهم،  
← نال محبة الله و محبة عباده، و استوثق له أمره.

**(إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ)**

\*\*\*فتنة و اختبار و ابتلاء لخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه

**(وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)**

\*\*\* كقوله { زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ  
مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ } عمران 14

[صحيح ابن خزيمة]- قال الأعظمي : إسناده حسن

عبد الله بن بريدة عن أبيه قال :

كان رسول الله ﷺ يخطب فأقبل الحسن و الحسين

عليهما قميصان أحمران يعثران و يقومان فنزل

فأخذهما فوضعهما بين يديه

ثم قال : صدق الله و رسوله

**(إنما أموالكم و أولادكم فتنة)**

رأيت هذين فلم أصبر ثم أخذ في خطبته

فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ  
وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ تَقْرِيضَ اللَّهِ قَرْضًا

حَسَنًا يُضَعِفُهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾

عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

(فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)

هذا يأمر تعالى بتقواه، التي هي امثال أوامره و اجتناب نواهيه،  
و يقيد ذلك بالاستطاعة و القدرة.

فهذه الآية، تدل على أن كل واجب عجز عنه العبد، أنه يسقط عنه،  
و أنه إذا قدر على بعض المأمور، و عجز عن بعضه، :  
فإنه يأتي بما يقدر عليه، و يسقط عنه ما يعجز عنه

، كما قال النبي ﷺ: في صحيح البخاري-7288

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:  
«دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ،

إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَ اخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ،  
فَإِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ،

وَ إِذَا أَمَرْتُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» ( )  
 وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ - كَمَا رَوَاهُ مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ -  
 إِنَّ هَذِهِ آيَةَ الْعَظِيمَةِ نَاسِخَةٌ لِلَّتِي فِي " آلِ عِمْرَانَ " وَهِيَ قَوْلُهُ:  
**{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }**  
 [آلِ عِمْرَانَ: 102]

و يدخل تحت هذه القاعدة الشرعية من الفروع، ما لا يدخل تحت الحصر،

و قوله: **(وَأَسْمَعُوا)**

أي: اسمعوا ما يعظكم الله به، و ما يشرعه لكم من الأحكام،  
 و اعلموا ذلك و انقادوا له

**(وَأَطِيعُوا)**

الله و رسوله في جميع أموركم،

**(وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ)**

من النفقات الشرعية الواجبة و المستحبة،

(دعوني) اتركوني ولا تسألوني.

بسؤالهم) كثرة أسئلتهم.

(ما استطعتم) قدر استطاعتكم بعد الإتيان بالقدر الواجب الذي لا بد منه.

قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم :-

هذا من قواعد الإسلام ومن جوامع الكلم التي أعطاها ﷺ

ويدخل فيه ما لا يحصى من الأحكام]

يكن ذلك الفعل منكم خيرًا لكم في الدنيا و الآخرة،  
فإن الخير كله في امتثال أوامر الله تعالى و قبول نصائحه،  
و الانقياد لشرعه، و الشر كله، في مخالفة ذلك.

\*\*\* مَهْمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ،  
وَ مَهْمَا تَصَدَّقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَعَلَيْهِ جَزَاؤُهُ،  
وَ نَزَلَ ذَلِكَ مَنزِلَةَ الْقُرْضِ لَهُ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ  
صحيح مسلم -758

أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:  
" يَنْزِلُ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا لِشَطْرِ اللَّيْلِ، أَوْ لِثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ،  
فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، أَوْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ،  
ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ، وَلَا ظُلُومٍ

وَ لِهَذَا قَالَ: {يُضَاعِفُهُ لَكُمْ}

كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: {فِيضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً} [البقرة: 245]

(وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ)

و لكن ثم آفة تمنع كثيرًا من الناس، من النفقة المأمور بها،  
و هو الشح المجبولة عليه أكثر النفوس،  
فإنها تشح بالمال، و تحب وجوده،

و تكره خروجه من اليد غاية الكراهة.

فمن وقاه الله شر شح نفسه بأن سمحت نفسه بالإنفاق النافع لها (I)

### فَأَوْلَيْتِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

لأنهم أدركوا المطلوب، و نجوا من المرهوب،

بل لعل ذلك شامل لكل ما أمر به العبد، و نهي عنه،

- فإنه إن كانت نفسه شحيحة، لا تنقاد لما أمرت به، و لا تخرج ما قبلها،

لم يفلح، بل خسر الدنيا و الآخرة،

- و إن كانت نفسه نفساً سمحة مطمئنة منشرحة لشرع الله، طالبة لمرضاة الله،

فإنها ليس بينها و بين فعل ما كلفت به إلا العلم به،

و وصول معرفته إليها، و البصيرة بأنه مرض لله تعالى،

و بذلك تفلح و تنجح و تفوز كل الفوز.

ثم رغب تعالى في النفقة فقال:

### إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا

و هو كل نفقة كانت من الحلال، إذا قصد بها العبد وجه الله تعالى

و طلب مرضاته، و وضعها في موضعها

---

\* جاء في المعجم: اللغة العربية المعاصر

ما يُظْهِرُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ حَرَصٍ وَبُخْلِ شَدِيدَيْنِ عَلَى مَا يَمْلِكُ.

و الاقتصاد فيما يُنْفَقُ

(حَسَنًا يُضْعَفُ لَكُمْ)

النفقة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

( و ) مع المضاعفة أيضاً

(وَيَغْفِرْ لَكُمْ)

بسبب الإنفاق و الصدقة ذنوبكم، فإن الذنوب يكفرها الله بالصدقات  
والحسنات:

{ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ { [هود: 114]

(وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ)

لا يعاجل من عصاه، بل يمهله ولا يهمله،

{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ

إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى { [فاطر: 45]

و الله تعالى شكور يقبل من عباده اليسير من العمل،

و يجازيهم عليه الكثير من الأجر،

و يشكر تعالى لمن تحمل من أجله المشاق و الأثقال

و ناء بالتكاليف الثقال،

و من ترك شيئاً لله، عوضه الله خيراً منه.

(عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ)

أي: ما غاب عن العباد من الجنود التي لا يعلمها إلا هو،  
و ما يشاهدونه من المخلوقات،

(الْعَزِيزُ)

الذي لا يغالب و لا يمانع، الذي قهر كل الأشياء،

(الْحَكِيمُ)

في خلقه و أمره، الذي يضع الأشياء مواضعها.

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقْتُمُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾

يقول تعالى مخاطبًا لنبيه ﷺ و للمؤمنين:

**يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ.**

\*\*\* صحيح البخاري

4908- عَنْ سَالِمٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَ هِيَ حَائِضٌ،

فَذَكَرَ عُمَرُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَغَيَّظَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «لِيُرَاجِعَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُهَا حَتَّى تَطْهَرُ، ثُمَّ تَحِيضُ فَتَطْهَرُ، فَإِنْ بَدَأَ لَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا فَلْيُطَلِّقْهَا طَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَمْسَهَا،

فَتَلَكَ الْعِدَّةُ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» ( )

صحيح مسلم

(1471) عن ابن جريج: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَيْمَنَ،

مَوْلَى عَزَّةَ، يَسْأَلُ ابْنَ عُمَرَ، وَأَبُو الزُّبَيْرِ يَسْمَعُ ذَلِكَ،

كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ حَائِضًا؟ فَقَالَ:

طَلَّقَ ابْنُ عُمَرَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ

ﷺ، فَسَأَلَ عُمَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،

فَقَالَ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ،

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «لِيُرَاجِعَهَا»، فَرَدَّهَا، وَقَالَ:

«إِذَا طَهَرَتْ فَلْيُطَلِّقْ، أَوْ لِيُؤْمَسِكْ»، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ:

«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ»،

أي: أردتم طلاقهن

( ف ) التمسوا لطلاقهن الأمر المشروع، ولا تبادروا بالطلاق من حين يوجد

سببه، من غير مراعاة لأمر الله.

بل (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) (

\*\*\* وَ مِنْ هَا هُنَا أَخَذَ الْفُقَهَاءُ أَحْكَامَ الطَّلَاقِ وَقَسَّمُوا \_\_\_\_\_ وَهُ إِلَى: -

1- طَلَّاقِ سُنَّةٍ

(فتغيظ فيه) غضب لفعله.

(يسها) يجامعها.

(كما أمره الله) بقوله {فطلقوهن لعدتهن} أي لأول عدتهن.

2- وَ طَلَّاقٍ بَدْعَةٍ،

فَطَلَّاقُ السُّنَّةِ:

أَنْ يُطَلِّقَهَا طَاهِرًا مِنْ غَيْرِ جَمَاعٍ، أَوْ حَامِلًا قَدْ اسْتَبَانَ حَمْلُهَا.  
وَ الْبَدْعِيُّ:

هُوَ أَنْ يُطَلِّقَهَا فِي حَالِ الْحَيْضِ، أَوْ فِي طَهْرٍ قَدْ جَامَعَهَا فِيهِ،  
وَ لَا يَدْرِي أَحَمَلَتْ أَمْ لَا؟

وَ طَلَّاقٌ ثَالِثٌ لَا سُنَّةَ فِيهِ وَ لَا بَدْعَةَ:

وَ هُوَ طَلَّاقُ الصَّغِيرَةِ وَ الْآيِسَةِ، وَ غَيْرِ الْمَدْخُولِ بِهَا،  
وَ تَحْرِيرُ الْكَلَامِ فِي ذَلِكَ وَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مُسْتَقْصَى فِي كُتُبِ الْفُرُوعِ،  
وَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى أَعْلَمُ.

أي: لأجل عدتهن، بأن يطلقها زوجها وهي طاهر، في طهر لم يجامعها فيه،

فهذا الطلاق هو الذي تكون العدة فيه واضحة بينة،

- بخلاف ما لو طلقها وهي حائض، فإنها لا تحتسب تلك الحيضة،

التي وقع فيها الطلاق، و تطول عليها العدة بسبب ذلك،

- و كذلك لو طلقها في طهر وطئ فيه،

فإنه لا يؤمن حملها، فلا يتبين و لا يتضح بأي عدة تعتد،

**(وَ أَحْصُوا الْعِدَّةَ)**

و أمر تعالى بإحصاء العدة،

أي: ضبطها بالحيض إن كانت تحيض،

أو بالأشهر إن لم تكن تحيض، و ليست حاملا

فإن في إحصائها أداء لحق الله، و حق الزوج المطلق،  
و حق من سيتزوجها بعد، و حقها في النفقة و نحوها  
فإذا ضبطت عدتها، علمت حالها على بصيرة،  
و علم ما يترتب عليها من الحقوق، و ما لها منها،  
و هذا الأمر بإحصاء العدة، يتوجه للزوج و للمرأة، إن كانت مكلفة،  
و إلا فلوليها،

و قوله: **(وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ)**

أي: في جميع أموركم، و خافوه في حق الزوجات المطلقات،

ف **(لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ)**

مدة العدة، بل يلزمن بيوتهن الذي طلقها زوجها و هي فيها.

**(وَلَا يَخْرُجْنَ)**

أي: لا يجوز لهن الخروج منها،

أما النهي عن إخراجها: - فلأن المسكن، يجب على الزوج للزوجة ،

لتكامل فيه عدتها التي هي حق من حقوقه.

و أما النهي عن خروجها، فلما في خروجها، من إضاعة حق الزوج و عدم صونه.

و يستمر هذا النهي عن الخروج من البيوت، و الإخراج إلى تمام العدة.

**(إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ)**

\*وَ الْفَاحِشَةُ الْمُبَيَّنَةُ تَشْمَلُ الزَّنا وَ تَشْمَلُ ما اذا نَشَرَتِ الْمَرْأَةُ  
أَوْ بَدَّتْ عَلَى أَهْلِ الرَّجُلِ وَ آذَتْهُمْ فِي الْكَلَامِ وَ الْفِعَالِ،  
أي: بأمر قبيح واضح، موجب لإخراجها،  
بحيث يدخل على أهل البيت الضرر من عدم إخراجها،  
كالأذى بالأقوال و الأفعال الفاحشة،

ففي هذه الحال يجوز لهم إخراجها، لأنها هي التي تسببت لإخراج نفسها،  
و الإسكان فيه جبر لخاطرها، و رفق بها،  
فهي التي أدخلت الضرر على نفسها ،  
و هذا في المعتدة الرجعية،  
و أما البائن، فليس لها سكنى واجبة،  
لأن السكن تبع للنفقة، و النفقة تجب للرجعية دون البائن،

**(وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ)**

أي: التي حددها لعباده و شرعها لهم، و أمرهم بلزومها و الوقوف معها،

**(وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ)**

بأن لم يقف معها، بل تجاوزها، أو قصر عنها،

**(فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ)**

بخسها حظها، و أضع نصيبه من اتباع حدود الله التي هي الصلاح في الدنيا  
و الآخرة.

**(لَا تَدْرِي لِمَلَّ اللَّهُ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا)**

\*\*\*قَالَ: هِيَ الرَّجْعَةُ.

و من هاهنا ذهبَ مَنْ ذَهَبَ مِنَ السَّلَفِ وَ مَنْ تَابَعَهُمْ،  
كَالإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَنَّهُ لَا تَجِبُ السُّكْنَى لِلْمَبْتُوتَةِ،  
وَ كَذَا الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا،  
وَ اعْتَمَدُوا أَيْضًا عَلَى حَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسِ الْفِهْرِيَّةِ

صحيح مسلم

(1480) عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، أَنَّ أَبَا عَمْرٍو بْنَ حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ،  
وَ هُوَ غَائِبٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَكَيْلَهُ بِشَعِيرٍ، فَسَخِطَتْهُ،  
فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا لَكَ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ،

فَجَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ،

فَقَالَ: «لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ»،

فَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَّ فِي بَيْتِ أُمِّ شَرِيكِ،

ثُمَّ قَالَ: «تِلْكَ امْرَأَةٌ يَغْشَاهَا أَصْحَابِي،

اعْتَدِّي عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَى تَضَعِينَ ثِيَابَكَ،

فَإِذَا حَلَلْتَ فَادْنِيْنِي»،

قَالَتْ: فَلَمَّا حَلَلْتُ ذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَ أَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي،

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا أَبُو جَهْمٍ، فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ،

وَ أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُغْلُوكُ لَا مَالَ لَهُ، انكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ»

فَكَرِهْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: «انكِحِي أُسَامَةَ»، فَتَكَحَّتْهُ،

فَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا، وَاعْتَبَطْتُ بِهِ ( )

أي: شرع الله العدة، و حدد الطلاق بها، لحكمة عظيمة:

- 1- أنه لعل الله يحدث في قلب المُطَلِّقِ الرحمة و المودة، فيراجع من طلقها، و يستأنف عشرتها، فيتمكن من ذلك مدة العدة،
- 2- أو لعله يطلقها لسبب منها، فيزول ذلك السبب في مدة العدة، فيراجعها لانتفاء سبب الطلاق.
- 3- و من الحكم: أنها مدة التربص، يعلم براءة رحمها من زوجها.

و قوله: ( **فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ** )

أي: إذا قاربن انقضاء العدة، لأنهن لو خرجن من العدة، لم يكن الزوج مخيرًا بين الإمساك والفراق.

( **فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ** )

(فسخبطته) أي ما رضيت به لكونه شعيرا أو لكونه قليلا

(تعتد) أي تستوفي عدتها وعدة المرأة قيل أيام أقرائها وقيل تربصها المدة الواجبة عليها (فأذنيني) أي فأعلميني

(فلا يضع العصا عن عاتقه) فيه تأويلان مشهوران أحدهما أنه كثير الأسفار والثاني أنه كثير الضرب للنساء وهذا أصح والعاتق هو ما بين العنق إلى المنكب (فصعلوك) أي فقير في الغاية

(واغتبطت) في بعض النسخ واغتبطت به ولم تقع لفظه به في أكثر النسخ قال أهل اللغة اللغة الغبطة أن يتمنى مثل حال المغبوط من غير إرادة زوالها عنه وليس هو بحسد تقول منه غبطته بما نال أغبطه بكسر الباء غبطا وغبطة فاغتبط هو كمنعته فامتنع وحبسته فاحتبس]

أي: على وجه المعاشرة الحسنة، و الصحبة الجميلة،  
لا على وجه الضرار، و إرادة الشر و الحبس،  
فإن إمساكها على هذا الوجه، لا يجوز،

**(أَوْفَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ)**

أي: فراقًا لا محذور فيه،

من غير تشاتم و لا تخاصم، و لا قهر لها على أخذ شيء من مالها.

**(وَأَشْهَدُوا)**

على طلاقها و رجعتها

**(ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ)**

أي: رجلين مسلمين عدلين، لأن في الإشهاد المذكور، سدًا لباب المخاصمة،  
و كتمان كل منهما ما يلزمه بيانه.

**(وَأَقِيمُوا)**

أيها الشهداء

**(الشَّهَادَةَ لِلَّهِ)**

أي: اتوا بها على وجهها، من غير زيادة و لا نقص،

و اقصدوا بإقامتها وجه الله وحده و لا تراعوا بها قريبًا لقربته، و لا صاحبًا  
لمحبته،

(ذَلِكَكُمْ)

الذي ذكرنا لكم من الأحكام و الحدود

(يُعَظُّ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)

فإن من يؤمن بالله و اليوم الآخر، يوجب له ذلك:-

1- أن يتعظ بمواعظ الله،

2- و أن يقدم لآخرفته من الأعمال الصالحة، ما تمكن منها،

بخلاف من ترحل الإيمان عن قلبه،

فإنه لا يبالي بما أقدم عليه من الشر، و لا يعظم مواعظ الله لعدم الموجب

لذلك،

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا)

\*\*\* إِنَّ أَجْمَعَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ} [النَّحْلِ: 90]

وَ إِنَّ أَكْثَرَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَرَجًا: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}

أي:- مِنْ شُبُهَاتِ الْأُمُورِ وَ الْكَرْبِ عِنْدَ الْمَوْتِ

- و لما كان الطلاق قد يوقع في الضيق و الكرب و الغم،

← أمر تعالى بتقواه، و أن من اتقاه في الطلاق و غيره

فإن الله يجعل له فرجًا و مخرجًا.

فإذا أراد العبد الطلاق، ففعله على الوجه الشرعي،

بأن أوقعه طلقة واحدة، في غير حيض و لا طهر قد وطئ فيه

فإنه لا يضيق عليه الأمر، بل جعل الله له فرجًا و سعة يتمكن بها من مراجعة النكاح إذا ندم على الطلاق،

و الآية، و إن كانت في سياق الطلاق و الرجعة، فإن العبرة بعموم اللفظ، -فكل من اتقى الله تعالى، و لازم مرضاة الله في جميع أحواله، فإن الله يثيبه في الدنيا والآخرة.

و من جملة ثوابه أن يجعل له فرجًا و مخرجًا من كل شدة و مشقة، و كما أن من اتقى الله جعل له فرجًا و مخرجًا،

-فمن لم يتق الله، وقع في الشدائد و الآصار و الأغلال، التي لا يقدر على التخلص منها و الخروج من تبعثها،

و اعتبر ذلك بالطلاق، فإن العبد إذا لم يتق الله فيه، بل أوقعه على الوجه المحرم، كالثلاث و نحوها،

فإنه لا بد أن يندم ندامة لا يتمكن من استدراكها و الخروج منها.

**(وَبَرِّزْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)**

أي: يسوق الله الرزق للمتقي، من وجه لا يحتسبه و لا يشعر به.

\*\*\*سنن الترمذي ت شاكر

2516 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا،

فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمْتُكَ كَلِمَاتٍ،

أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ،

أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ،

(وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)

أي: في أمر دينه و دنياه، بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه و دفع ما يضره، و يثق به في تسهيل ذلك

(فَهُوَ حَسْبُهُ)

أي: كافيه الأمر الذي توكل عليه به،  
و إذا كان الأمر في كفالة الغني القوي العزيز الرحيم،  
فهو أقرب إلى العبد من كل شيء،  
و لكن ربما أن الحكمة الإلهية اقتضت تأخيرها إلى الوقت المناسب له؛  
فلهذا قال تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ)

\*\*\*كقوله { وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ } [الرعد: 8]

أي: لا بد من نفوذ قضائه و قدره، و لكنه

(قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا)

أي: وقتًا و مقدارًا، لا يتعداه و لا يقصر عنه.

وَالَّتِي يَبْسَنُ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعَدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ

### وَيُعْظِمُ لَهُمْ أَجْرًا ﴿٥﴾

لما ذكر تعالى أن الطلاق المأمور به يكون لعدة النساء، ذكر تعالى العدة،

فقال: ( **وَالَّتِي يَبْسَنُ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ** )

بأن كن يحضن، ثم ارتفع حيضهن، لكبر أو غيره، و لم يرج رجوعه،

**(إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعَدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ)**

فإن عدتها ثلاثة أشهر، جعل لكل شهر، مقابلة حيضة.

\*\*\* فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا

أَيُّ إِنْ رَأَيْنَ دَمًا وَشَكَّكْتُمْ فِي كَوْنِهِ حَيْضًا أَوْ اسْتِحَاضَةً، وَارْتَبْتُمْ فِيهِ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي:

إِنْ ارْتَبْتُمْ فِي حُكْمِ عِدَّتِهِنَّ، وَ لَمْ تَعْرِفُوهُ فَهُوَ ثَلَاثُ أَشْهُرٍ. وَهُوَ أَظْهَرَ فِي الْمَعْنَى،

**(وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ)**

أي: الصغار، اللاتي لم يأتهن الحيض بعد،

والبالغات اللاتي لم يأتهن حيض بالكلية،

فإنهن كالأيسات، عدتهن ثلاثة أشهر،  
و أما اللاتي يحضن، فذكر الله عدتهن في قوله:

{ وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ } [البقرة: 228]

وقوله: { وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ }

أي: عدتهن

\*\*\* وَ مَنْ كَانَتْ حَامِلًا فَعِدَّتُهَا بِوَضْعِهِ،  
وَ لَوْ كَانَ بَعْدَ الطَّلَاقِ أَوْ الْمَوْتِ بِفُوقِ نَاقَةٍ  
فِي قَوْلِ جُمهُورِ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَ الْخَلْفِ،  
كَمَا هُوَ نَصُّ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَ كَمَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ.

وفي صحيح البخاري

4909 - جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبُو هُرَيْرَةَ جَالِسٌ عِنْدَهُ،  
فَقَالَ: أَفْنِي فِي امْرَأَةٍ وَلَدَتْ بَعْدَ زَوْجِهَا بِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً؟  
فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: آخِرُ الْأَجَلَيْنِ،

قُلْتُ أَنَا: { وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ } [الطلاق: 4]،

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنَا مَعَ ابْنِ أَخِي - يَعْنِي أَبَا سَلَمَةَ -  
فَأَرْسَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ غُلَامَهُ كُرَيْبًا إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ يَسْأَلُهَا،  
فَقَالَتْ: «قَتَلَ زَوْجُ سُبَيْعَةَ الْأَسْلَمِيَّةِ وَ هِيَ حُبْلَى،  
فَوَضَعَتْ بَعْدَ مَوْتِهِ بِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً،  
فَخَطَبْتُ فَأَنْكَحَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

وَ كَانَ أَبُو السَّنَابِلِ فِيمَنْ خَطَبَهَا» ( )

**(أَنْ يَضَعَنَّ حَمْلَهُنَّ)**

أي: جميع ما في بطونهن، من واحد، و متعدد، و لا عبرة حينئذ، بالأشهر و لا غيرها،

**(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا)**

أي: من اتقى الله تعالى، يسر له الأمور، و سهل عليه كل عسير.

**(ذَلِكَ)**

أي: الحكم الذي بينه الله لكم

**(أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا)**

لتمشوا عليه، و تأتموا و تقوموا به و تعظموه.

**(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا)**

أي: يندفع عنه المحذور، و يحصل له المطلوب.

---

(آخر الأجلين) أي أقصاهما من أربعة أشهر وعشرة أيام أو وضع الحمل.

[فأنكحها) أي فأذن لها أن تتزوج]

أَسْكُنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارِزُوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمِلٍ  
 فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ  
 وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسَرِّضُوا لَهُنَّ آخَرَى ﴿٦﴾ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ  
 فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا أَلَاءَ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا لِيُبْغِيَ اللَّهُ بِهَا الْبِرَّ وَكَانَ  
 مِنَ قُرْبَىٰ عِنْتٍ عَنِ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَذِّبْنَهَا عَذَابًا ذَكَرَ ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ  
 وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبَةً أَمْرًا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ لِّخُرَاجِ الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى  
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُخَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ  
 الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ  
 وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا

أَسْكُنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارِزُوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمِلٍ  
 فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا  
 بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسَرِّضُوا لَهُنَّ آخَرَى ﴿٦﴾ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ

قُدْرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، فَلْيَنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَنْهَاءً سَيَجْعَلُ اللَّهُ

بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾

تقدم أن الله نهى عن إخراج المطلقات عن البيوت

**(أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ)**

و هنا أمر بإسكانهن و قدر الإسكان بالمعروف،  
و هو البيت الذي يسكنه مثله و مثلها،

**(وَجَدِكُمْ)**

سعتكم - بحسب وجد الزوج و عسره،

**(وَلَا تُضَارَوهُنَّ لِضَيْقِ مَا عَلَيْهِنَّ)**

أي: لا تضاروهن عند سكاهن بالقول أو الفعل، لأجل أن يملن،  
فيخرجن من البيوت قبل تمام العدة فتكونوا، أنتم المخرجين لهن،

و حاصل هذا أنه نهى عن إخراجهن،

و نهاهن عن الخروج، و أمر بسكاهن،

على وجه لا يحصل عليهن ضرر ولا مشقة، و ذلك راجع إلى العرف،

\*\*\* يَعْنِي يُضَا جِرْهَا لِتَفْتَدِي مِنْهُ بِمَالِهَا أَوْ تَخْرُجَ مِنْ مَسْكِنِهِ.

**(وَإِنْ كُنَّ)**

أي: المطلقات

**(أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ<sup>٥</sup>)**

-و ذلك لأجل الحمل الذي في بطنها، إن كانت بائناً،  
-و لها و لحملها إن كانت رجعية،  
و منتهى النفقة حتى يضعن حملهن فإذا وضعن حملهن،  
فإما أن يرضعن أولادهن أو لا

**(فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ<sup>٦</sup>)**

المسماة لهن، إن كان مسمى، و إلا فأجر المثل،

**(وَأْتِمِرُوا بِبَيْنِكُمْ بِمَعْرُوفٍ<sup>٧</sup>)**

\*\*\*كقوله { لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ } [البقرة: 233]

أي: و ليأمر كل واحد من الزوجين و من غيرهما الآخر بالمعروف،  
و هو كل ما فيه منفعة و مصلحة في الدنيا و الآخرة،

فإن الغفلة عن الائتثار بالمعروف، يحصل فيه من الشر و الضرر،

ما لا يعلمه إلا الله، و في الائتثار تعاون على البر و التقوى،

و مما يناسب هذا المقام، أن الزوجين عند الفراق وقت العدة،

خصوصاً إذا ولد لهما ولد في الغالب يحصل من التنازع و التشاجر لأجل

النفقة عليها و على الولد مع الفراق،

الذي في الغالب ما يصدر إلا عن بغض، و يتأثر منه البغض شيء كثير .

فكل منهما يؤمر بالمعروف، و المعاشرة الحسنة، و عدم المشاققة و المخاصمة ،

و ينصح على ذلك.

**(وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمُ فَسَاطِرُكُمْ لَهٗ أُخْرَىٰ)**

بأن لم يتفقوا على إرضاعها لولدها، فلترضع له أخرى غيرها

**{ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ }** [البقرة: 233]

وهذا حيث كان الولد يقبل ثدي غير أمه،

فإن لم يقبل إلا ثدي أمه، تعينت لإرضاعه،

و وجب عليها، و أجبرت إن امتنعت،

و كان لها أجره المثل إن لم يتفقا على مسمى،

و هذا مأخوذ من الآية الكريمة من حيث المعنى،

فإن الولد لما كان في بطن أمه مدة الحمل، ليس له خروج منه ،

عين تعالى على وليه النفقة، فلما ولد،

و كان يمكن أن يتقوت من أمه و من غيرها،

أباح تعالى الأمرين، فإذا كان بحالة لا يمكن أن يتقوت إلا من أمه كان بمنزلة

الحمل،

و تعينت أمه طريقاً لقوته، ثم قدر تعالى النفقة، بحسب حال الزوج فقال:

**(لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ)**

أي: لينفق الغني من غناه، فلا ينفق نفقة الفقراء.

**(وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ)**

أي: ضيق عليه

(فَلْيَنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ)

من الرزق.

(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَنَهَا)

و هذا مناسب للحكمة و الرحمة الإلهية حيث جعل كلا بحسبه،  
و خفف عن المعسر، و أنه لا يكلفه إلا ما آتاه،  
فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، في باب النفقة وغيرها.

\*\*\*كقوله {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة: 286]

(سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا)

و هذه بشارة للمعسرين، ن الله تعالى سيزيل عنهم الشدة، و يرفع عنهم المشقة،

كقوله {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا 5 إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشرح: 5، 6]

وَكَاتِنٍ مِّن قَرِيْبٍ عَنَّتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيْدًا وَعَذَّبْنَهَا عَذَابًا

ثَقِيْلًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيْدًا

فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ

آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ وَمَنْ

يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا

## قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾

يخبر تعالى عن إهلاكه الأمم العاتية، والقرون المكذبة للرسول

**(وَكَايِنٍ مِّن قَرِيْبَةٍ عَنَّتْ )**

\*\*\*تهردت و طغت و استكبرت

**{عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ}**

\*\*\*عن اتباع اوامر الله و متابعة رسله  
○ أن كثرتهم و قوتهم، لم تنفعهم شيئاً،

**{فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا}**

حين جاءهم الحساب الشديد،

**{وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا}**

حين جاءهم العذاب الأليم،  
\*\*\*منكرا فظيعا

**{فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا}**

وأن الله أذاقهم من العذاب ما هو موجب أعمالهم السيئة.  
\*\*\*غِبَّ مخالفتها و ندموا حيث لا ينفع الندم

**{وَكَانَ عِقَابُهُ أَمْرًا خُسْرًا}**

و مع عذاب الدنيا، فإن الله أعد لهم في الآخرة عذابا شديداً،

(أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ط)

\*\*\* في الدار الآخرة مع ما عجل لهم من العذاب في الدنيا

(فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا)

أي: يا ذوي العقول، التي تفهم عن الله آياته وعبره،  
و أن الذي أهلك القرون الماضية بتكذيبهم، أن من بعدهم مثلهم،  
لا فرق بين الطائفتين.

(قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا)

\*\*\* القرآن و قيل الرسول

(رَسُولًا )

\*\*\* مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ اشْتِمَالٍ وَ مَلَابَسَةٍ؛  
لِأَنَّ الرَّسُولَ هُوَ الَّذِي بَلَغَ الذِّكْرَ.

(عَلَيْكُمْ ءَايَاتٍ اللَّهُ مُبَيِّنَاتٍ {

ثم ذكر عباده المؤمنين بما أنزل عليهم من كتابه،  
الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ،

(يُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)

ليخرج الخلق من ظلمات الكفر و الجهل و المعصية، إلى نور العلم و الإيمان  
و الطاعة، فمن الناس، من آمن به، و منهم من لم يؤمن به  
\*\*\* وَ قَدْ سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى الْوَحْيَ الَّذِي أَنْزَلَهُ نُورًا لِمَا يَحْصُلُ بِهِ مِنَ الْهُدَى

كَمَا سَمَّاهُ رُوحًا لِمَا يَحْصُلُ بِهِ مِنْ حَيَاةِ الْقُلُوبِ فَقَالَ: تَعَالَى  
 {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ  
 وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ  
 مُسْتَقِيمٍ} [الشُّورَى: 52]

(وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا)

من الواجبات والمستحبات.

(يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)

فيها من النعيم المقيم، ما لا عين رأت، و لا أذن سمعت،  
 و لا خطر على قلب بشر،

(خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا )

أي: و من لم يؤمن بالله و رسوله، فأولئك أصحاب النار، هم فيها خالدون.

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ {

\*\*\* كقوله عن نوح {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا} [نوح: 15]

{ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ } [الإسراء: 44]

-ثم أخبر تعالى أنه خلق الخلق من السماوات السبع و من فيهن و الأرضين السبع و من فيهن، و ما بينهما،

**{ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ }**

\*\*\* صحيح البخاري -2452

عن سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ ظَلَمَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»

صحيح البخاري -2454

عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بَغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ»

**{ نَزَّلَ الْأَمْرَ بَيْنَهُنَّ }**

و أنزل الأمر، و هو الشرائع والأحكام الدينية التي أوحاها إلى رسله لتذكير العباد و وعظهم،

-و كذلك الأوامر الكونية و القدرية التي يدبر بها الخلق،

**{ لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }**

كل ذلك لأجل أن يعرفه العباد

**{ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا }**

و يعلموا إحاطة قدرته بالأشياء كلها،

و إحاطة علمه بجميع الأشياء

فإذا عرفوه بأوصافه المقدسة و أسمائه الحسنى و عبدوه و أحبوه  
و قاموا بحقه،  
فهذه الغاية المقصودة من الخلق و الأمر معرفة الله و عبادته،  
فقام بذلك الموفقون من عباد الله الصالحين،  
و أعرض عن ذلك، الظالمون المعرضون.

## 66- تفسير سورة التحريم- وهي مدنية- بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَنَّى مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾  
قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى  
بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا  
نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ  
صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ  
وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ  
مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطٍ تَنَبَّاتٍ عِيدَاتٍ سَدِّحَاتٍ نَيْبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾

\*\*\* سنن النسائي - 3959

عَنْ أَنَسٍ، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ لَهُ أُمَةٌ يَطُوعُهَا  
فَلَمْ تَزَلْ بِهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ حَتَّى حَرَمَهَا عَلَى نَفْسِهِ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:  
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ { [التحريم: 1] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ

السنن الكبرى للنسائي

9112- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:

«لَمْ أَرَلْ حَرِيصًا أَسْأَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَنِ الْمَرْأَتَيْنِ مِنَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ  
اللتين» قَالَ اللَّهُ تَعَالَى

{ [التحريم: 4] إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا }

فَحَجَّ عُمَرُ، وَحَجَّجْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ عَدَلَ عُمَرُ،  
وَ عَدَلْتُ مَعَهُ بِالْإِدَاوَةِ، فَتَبَرَّرَ، ثُمَّ أَتَانِي فَسَجَّتُ عَلَى يَدَيْهِ فَتَوَضَّأَ  
فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمَرَّاتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَانِ قَالَ اللهُ لَهُمَا

{إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} [التحریم: 4]

قَالَ عُمَرُ: وَأَعَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ، ثُمَّ أَخَذَ يَسُوقُ الْحَدِيثَ

صحيح البخاري

4911 - عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا،

قَالَ: «فِي الْحَرَامِ يُكْفَرُ» وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

«لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ» ( )

\*\*\*صحيح البخاري

4912 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ:

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَ يَمْكُثُ عِنْدَهَا،

فَوَاطَيْتُ أَنَا وَ حَفْصَةُ عَلَيَّ، أَيْتِنَا دَخَلَ عَلَيْهَا

فَلْتَقُلْ لَهُ: أَكَلْتَ مَعَاظِيرَ، إِيَّيَّيْ أَجْدُ مِنْكَ رِيحَ مَعَاظِيرَ،

قَالَ: «لَا، وَ لِكَيْتِي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَلَنْ أَعُودَ لَهُ،

وَ قَدْ حَلَفْتُ، لَا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا» ( )

{في الحرام} أي إذا حرم على نفسه ما يحل له كما إذا قال حرام علي أكل اللحم  
{أو قال لزوجه أنت علي حرام.

{يكفر} كفارة يمين وهذا إذا لم ينو الطلاق فإن نوى الطلاق وقع كما نوى.

{أسوة} قدوة. / الأحزاب 21 / .

وقرأها عاصم بضم الهمزة حيث كانت وقرأ الجمهور بكسرها]

(فواطيت) اتفقت وأصله

عن عائشة: تَزَعُمُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَمُكْتُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَ يَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَ حَفْصَةُ: أَنَّ أَتَيْنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَلْتَقَلُّ: إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرٍ، أَكَلْتِ مَغَافِيرَ، فَدَخَلَ عَلَيَّ إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «لَا، بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَ لَنْ أَعُودَ لَهُ» فَزَلْتُ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} [التحریم: 1]

{إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ} [التحریم: 4]. لِعَائِشَةَ وَ حَفْصَةَ

{وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا} [التحریم: 3].

لِقَوْلِهِ: «بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا»،

وَ قَالَ لِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى: عَنْ هِشَامِ:

«وَ لَنْ أَعُودَ لَهُ، وَ قَدْ حَلَفْتُ، فَلَا تُخْرِبِي بِذَلِكَ أَحَدًا»

احاديث اخري من هنا

هذا عتاب من الله لنيبه محمد ﷺ، حين حرم على نفسه سريته « مارية »

أو شرب العسل، مراعاة لخاطر بعض زوجاته، في قصة معروفة،

فأنزل الله تعالى هذه الآيات

(فَوَاطَات) وهو كذلك في بعض النسخ وفي بعض النسخ (فَوَاطَات).

(مغافير) جمع مغفور وهو صمغ حلو له رائحة كريهة ينضجه شجر يسمى العرطف.

(وقد حلفت) على أن لا أعود لشرب العسل عندها]

(يَأْتِيهَا النَّبِيُّ)

أي: يا أيها الذي أنعم الله عليه بالنبوة و الوحي و الرسالة

(لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ)

من الطيبات، التي أنعم الله بها عليك و على أمتك.

(تَبْنِيغِي)

بذلك التحريم

(مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

هذا تصريح بأن الله قد غفر لرسوله، و رفع عنه اللوم، و رحمه،  
و صار ذلك التحريم الصادر منه، سبباً لشرع حكم عام لجميع الأمة،  
فقال تعالى حاكماً حاكماً عاماً في جميع الأيمان:

(قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ)

أي: قد شرع لكم، و قدر ما به تنحل أيمانكم قبل الحنث،  
و ما به الكفارة بعد الحنث، و ذلك كما في قوله تعالى:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا  
يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (87) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ  
بِهِ مُؤْمِنُونَ (88) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا  
عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ

أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَخْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {

[المائدة: 87 - 89]

فكل من حرم حلالا عليه، من طعام أو شراب أو سرية، أو حلف يمينًا بالله، على فعل أو ترك، ثم حنث أو أراد الحنث، فعليه هذه الكفارة المذكورة، و قوله:

(وَاللَّهُ مَوْلَانِكُمْ ط)

أي: متولي أموركم، و مرببكم أحسن تربية، في أمور دينكم و دنياكم، و ما به يندفع عنكم الشر، فلذلك فرض لكم تحلة أيمانكم، لتبرأ ذممكم،

(وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ط)

الذي أحاط علمه بظواهركم و بواطنكم، و هو الحكيم في جميع ما خلقه و حكم به، فلذلك شرع لكم من الأحكام، ما يعلم أنه موافق لمصالحكم، و مناسب لأحوالكم. و قوله:

(وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ ط)

قال كثير من المفسرين: هي حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، أسر لها النبي ﷺ حديثًا، و أمر أن لا تخبر به أحدًا،

فحدثت به عائشة رضي الله عنهما،

**وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ**

و أخبره الله بذلك الخبر الذي أذاعته، فعرّفها ﷺ، ببعض ما قالت،  
و أعرض عن بعضه، كرمًا منه ﷺ و حلمًا،

ف—(قَالَتْ) له:

**(مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا)**

الخبر الذي لم يخرج منا؟

**(قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ)**

الذي لا تخفى عليه خافية، يعلم السر و أخفى.

و قوله: **(إِنْ نُبُؤًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمْ)**

الخطاب للزوجتين الكريمتين من أزواجه ﷺ عائشة و حفصة رضي الله عنهما،  
كانتا سببًا لتحريم النبي ﷺ على نفسه ما يحبه،  
فعرض الله عليهما التوبة، و عاتبهما على ذلك،

**(فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمْ)**

و أخبرهما أن قلوبهما قد صغت أي: مالت و انحرفت عما ينبغي لهن،  
من الورع و الأدب مع الرسول ﷺ و احترامه، و أن لا يشقن عليه،

**(وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ)**

أي: تعاوننا على ما يشق عليه، و يستمر هذا الأمر منكن،

**(فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَانُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ)**

أي: الجميع أعوان للرسول، مظاهرون،

و من كان هؤلاء أعوانه فهو المنصور، و غيره ممن يناوئه مخذول ،

و في هذا أكبر فضيلة و شرف لسيد المرسلين ﷺ

حيث جعل الباري نفسه الكريمة ، و خواص خلقه، أعواناً لهذا الرسول الكريم.

و هذا فيه من التحذير للزوجتين الكريمتين ما لا يخفى،

ثم خوفهما أيضاً، بحالة تشق على النساء غاية المشقة، و هو الطلاق،

الذي هو أكبر شيء عليهن، فقال:

**(عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ)**

\*جاء في اسباب النزول [من هنا](#)

أي: فلا ترفعن عليه، فإنه لو طلقك، لم يضق عليه الأمر، ولم يكن مضطراً

إيكن، فإنه سيلقى و يبده الله أزواجاً خيراً منكن، دينا وجمالا

و هذا من باب التعليق الذي لم يوجد، و لا يلزم وجوده، فإنه ما طلقهن،

و لو طلقهن، لكان ما ذكره الله من هذه الأزواج الفاضلات،

**(مُسَلِّمَاتٍ)**

الجامعات بين الإسلام، و هو القيام بالشرائع الظاهرة،

## (مُؤْمِنَاتٍ)

و الإيمان، و هو: القيام بالشرائع الباطنة، من العقائد و أعمال القلوب.

## (قَانِتٍ)

القنوت هو دوام الطاعة و استمرارها

## (تَبَيَّنَتْ)

عما يكرهه الله، فوصفهن بالقيام بما يحبه الله، و التوبة عما يكرهه الله،

## (عَبْدَاتٍ)

## (سَيِّحَاتٍ)

\*\*\*صائمات

## (تَبَيَّنَتْ وَأَبْكَارًا)

أي: بعضهن ثيب، و بعضهن أبكار، ليتنوع ﷺ، فيما يحب،

فلما سمعن - رضي الله عنهن - هذا التخويف و التأديب،

بادرن إلى رضا رسول الله ﷺ،

فكان هذا الوصف منطبقًا عليهن، فصرن أفضل نساء المؤمنين،

و في هذا دليل على أن الله لا يختار لرسوله ﷺ إلا أكمل الأحوال

و أعلى الأمور، فلما اختار الله لرسوله بقاء نسائه المذكورات معه دل على

أنهن خير النساء و أكملهن.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَأَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ

غَلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾

(يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا)

أي: يا من من الله عليهم بالإيمان، قوموا بلوازمه و شروطه.

ف—(قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا)

\*\*\*و في معني هذه الاية قول النبي في سنن أبي داود  
عَنْ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
«مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَ هُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَ اضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا،  
وَ هُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ وَ فَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»،

قَالَ الْفُقَهَاءُ: وَ هَكَذَا فِي الصَّوْمِ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ تَمْرِينًا لَهُ عَلَى الْعِبَادَةِ،  
لِيَكِي يَبْلُغَ وَهُوَ مُسْتَمِرٌّ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ وَ مُجَانِبَةَ الْمَعْصِيَةِ وَ تَرْكِ الْمُنْكَرِ،  
وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ.

○ موصوفة بهذه الأوصاف الفظيعة،

و وقاية الأنفس بإلزامها أمر الله، و القيام بأمره امتثالاً و نهيهِ اجتناباً،  
و التوبة عما يسخط الله و يوجب العذاب، و وقاية الأهل و الأولاد ،  
بتأديبهم و تعليمهم، و إجبارهم على أمر الله،  
فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه،  
و فيما يدخل تحت ولايته من الزوجات و الأولاد

و غيرهم ممن هو تحت ولايته و تصرفه .  
و وصف الله النار بهذه الأوصاف، ليزجر عباده عن التهاون بأمره فقال:

**(وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)** كما قال تعالى:

{ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ }  
[الأنبياء: 98].

**(عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ)**

أي: غليظة أخلاقهم، عظيم انتهارهم، يفزعون بأصواتهم و يخيفون بمرآهم، و يهينون أصحاب النار بقوتهم، و يمثلون فيهم أمر الله، الذي حتم عليهم العذاب و أوجب عليهم شدة العقاب،  
\*\*\*أي: تَرْكِيْبُهُمْ فِي غَايَةِ الشَّدَّةِ وَ الْكَثَافَةِ وَ الْمَنْظَرِ الْمُرْعَجِ.

**(لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)**

وهذا فيه أيضاً مدح للملائكة الكرام، و انقيادهم لأمر الله،  
و طاعتهم له في كل ما أمرهم به.

**يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْنَدِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴿٧﴾

أي: يوبخ أهل النار يوم القيامة بهذا التوبيخ فيقال لهم:

**(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْنَدِرُوا الْيَوْمَ)**

أي: فإنه ذهب وقت الاعتذار، و زال نفعه،

**(إِنَّمَا يُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)**

فلم يبق الآن إلا الجزاء على الأعمال،  
و أنتم لم تقدموا إلا الكفر بالله، و التكذيب بآياته، و محاربة رسله و أوليائه.

2468 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْمَرَاتِينِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ لَهُمَا:

{ **إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** } [التحریم: 4]

فَحَجَجْتُ مَعَهُ،

فَعَدَلُ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالْإِدَاوَةِ، فَتَبَرَّرَ حَتَّى جَاءَ،

فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْإِدَاوَةِ فَتَوَضَّأَ،

فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنَ الْمَرَاتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا:

{ **إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** } [التحریم: 4]؟

فَقَالَ: وَاعَجَبِي لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ،

ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرَ الْحَدِيثَ يَسُوقُهُ، فَقَالَ:

إِنِّي كُنْتُ وَجَارًا لِي مِنَ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ،

وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ، وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ،

فَيُنزَلُ يَوْمًا وَأُنزَلُ يَوْمًا،

فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ مِنْ خَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْأَمْرِ وَغَيْرِهِ،

وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَهُ،

وَكُنَّا مَعَشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ،

فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الْأَنْصَارِ إِذَا هُمْ قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ،

فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ، فَصِحْتُ عَلَى امْرَأَتِي،

فَرَاغَعْتَنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي،

فَقَالَتْ: وَلِمَ تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ،  
فَوَاللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لَيُرَاجِعُنَّهُ،  
وَإِنَّ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ،  
فَأَفْزَعَنِي، فَقُلْتُ: خَابَتْ مَنْ فَعَلَ مِنْهُنَّ بَعْظِمٍ، ثُمَّ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي،  
فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَقُلْتُ:

أَيُّ حَفْصَةَ أَتُخَاضِبُ إِحْدَاكُنَّ رَسُولَ ﷺ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ؟  
فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: خَابَتْ وَخَسِرَتْ

أَفْتَأْمَنْ أَنْ يَعْضَبَ اللَّهُ لِعَضَبِ رَسُولِهِ ﷺ، فَتَهْلِكِينَ  
لَا تَسْتَكْثِرِينَ عَلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا تُرَاجِعِيهِ فِي شَيْءٍ، وَلَا تَهْجُرِيهِ،  
وَاسْأَلِينِي مَا بَدَا لَكَ،

وَلَا يَغْرَتُكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكَ هِيَ أَوْضَاً مِنْكَ،  
وَأَحَبَّ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - يُرِيدُ عَائِشَةَ -

وَكَأَنَّ تَحَدَّثْنَا أَنَّ عَسَانَ تُنْعَلُ النِّعَالَ لِغَزْوِنَا،

فَنَزَلَ صَاحِبِي يَوْمَ نَوْبِنَه

فَرَجَعَ عِشَاءً، فَضْرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا،

وَ قَالَ: أَنَا نَائِمٌ هُوَ، فَفَزَعْتُ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ،

وَ قَالَ: حَدَّثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ أَجَاءَتْ عَسَانُ؟

قَالَ: لَا بَلْ أَعْظَمُ مِنْهُ وَأَطْوَلُ طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ،

قَالَ: قَدْ خَابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ، كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ هَذَا يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ،

فَجَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي، فَصَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ،

فَدَخَلَ مَشْرُوبَةً لَهُ، فَأَعْتَزَلَ فِيهَا،

فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَإِذَا هِيَ تَبْكِي، قُلْتُ: مَا يُبْكِيكِ؟ العودة

أَوَلَمْ أَكُنْ حَدَرْتُكَ، أَطَلَّقَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،  
قَالَتْ: لَا أَدْرِي هُوَ ذَا فِي الْمَشْرُبَةِ، فَخَرَجْتُ، فَجِئْتُ الْمِنْبَرَ،  
فَإِذَا حَوْلَهُ رَهْطٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ، فَجَلَسْتُ مَعَهُمْ قَلِيلًا،  
ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ الْمَشْرُبَةَ الَّتِي هُوَ فِيهَا،  
فَقُلْتُ لِغُلَامٍ لَهُ أَسْوَدٌ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ،  
فَدَخَلَ، فَكَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ:  
ذَكَرْتُكَ لَهُ، فَصَمَتَ، فَأَنْصَرَفْتُ،  
حَتَّى جَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمِنْبَرِ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ،  
فَجِئْتُ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ،  
فَجَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمِنْبَرِ،  
ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ الْغُلَامَ  
فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ،  
فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مُنْصَرِفًا،  
فَإِذَا الْغُلَامُ يَدْعُونِي  
قَالَ: أَدِنَ لَكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ،  
فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالٍ حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ،  
قَدْ أَثَرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ مُتَكِيٌّ عَلَى وَسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشُوهَا لَيْفٌ،  
فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،  
ثُمَّ قُلْتُ وَ أَنَا قَائِمٌ: طَلَّقْتَ نِسَاءَكَ، فَرَفَعَ بَصْرَهُ إِلَيَّ،  
فَقَالَ: «لَا»، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ:  
أَسْتَأْنِسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ،  
لَوْ رَأَيْتَنِي وَكُنَّا مَعَشَرَ قُرَيْشٍ نَخْلُبُ النِّسَاءَ،  
فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى قَوْمٍ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ،

فَذَكَرَهُ فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قُلْتُ: لَوْ رَأَيْتَنِي، وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ،  
فَقُلْتُ: لَا يَعْرِفُكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتِكَ هِيَ أَوْضًا مِنْكَ،  
وَ أَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ- يُرِيدُ عَائِشَةَ -، فَتَبَسَّمَ أُخْرَى،  
فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ،  
ثُمَّ رَفَعْتُ بَصْرِي فِي بَيْتِهِ،  
فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ غَيْرَ أَهْبَةِ ثَلَاثَةٍ،  
فَقُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ فَلْيُوسِّعْ عَلَيَّ أُمَّتِكَ،  
فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وَسَّعَ عَلَيْهِمْ،  
وَ أَعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ،  
وَ كَانَ مُتَّكِنًا فَقَالَ:

«أَوْفِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ  
أُولَئِكَ قَوْمٌ عَجَلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»،  
فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَغْفِرْ لِي

فَاعْتَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْحَدِيثِ حِينَ أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ إِلَى عَائِشَةَ،  
وَ كَانَ قَدْ قَالَ:

«مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا مِنْ شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ، حِينَ عَاتَبَهُ اللَّهُ»  
فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعُ وَعِشْرُونَ، دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَبَدَأَ بِهَا،  
فَقَالَتْ لَهُ: عَائِشَةُ إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لَا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا،

وَ إِنَّا أَصْبَحْنَا لِتِسْعِ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً أَعَدُّهَا عَدًّا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:  
«الشَّهْرُ تِسْعُ وَعِشْرُونَ» وَ كَانَ ذَلِكَ الشَّهْرُ تِسْعًا وَ عِشْرِينَ،

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَنْزَلْتَ: آيَةُ التَّخْيِيرِ فَبَدَأَ بِي أَوَّلَ امْرَأَةٍ، العودة  
فَقَالَ: «إِنِّي ذَاكِرٌ لَكَ امْرَأًا، وَلَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكَ»،  
قَالَتْ: قَدْ أَعْلَمْتُ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِكَ،

ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ } [الأحزاب: 28]  
إِلَى قَوْلِهِ { عَظِيمًا } [النساء: 27] ،  
قُلْتُ: أَيْ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ، فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ،  
ثُمَّ حَيَّرَ نِسَاءَهُ، فَفُلْنٌ مِثْلَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ ( )

ش (صغت قلوبكما) مالت إلى تحريم مارية القبطية رضي الله عنها. / التحريم 4 /  
(فعدل) مال عن الطريق.  
(بالإداوة) إناء صغير من جلد يتخذ للماء.  
(فتبرز) خرج إلى الفضاء لقضاء الحاجة.  
(واعجبي) أتعجب لعدم معرفتك ذلك وأنت مشهور بعلم التفسير أو أتعجب لحرصك على  
السؤال عما لا ينتبه له إلا الحريص على العلم.  
(استقبل عمر الحديث) بدأ به من أوله.  
(الأمر) الوحي وما ينزل من الأوامر الشرعية وما يحدث في المدينة.  
(نغلب النساء) يكون رأينا هو المقدم ولا تراجعنا أزواجنا في شيء.  
(فطفق) فشرع.  
(أدب) أخلاق وسلوك.  
(راجعتني) ردت علي الجواب.  
(لتهجره) تترك مخاطبته والعشرة معه.  
(فأفرعني) فأخافني.  
(بعظيم) بأمر عظيم.  
(أفتامن) أفتأمن.  
(أن يغضب) أن لا يغضب.  
(لا تستكثري) لا تكثري عليه في الطلب.  
(أوضاً) أجمل. (تنعل النعال) تعد خيلها ودوابها.  
(مشربة) غرفة صغيرة مرتفعة عن الأرض.  
(رمال حصير) حصير منسوج وقيل رمال الحصير ضلوعه المتداخلة بمنزلة الخيوط في الثوب  
المنسوج.

صحيح البخاري -402  
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ:  
قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، العودة

(أدم) جلد مدبوغ.  
(أستأنس) أتبصر هل أقول قولاً أونسه به وأطيب وقته وأزيل منه غضبه.  
(شيتا يرد البصر) ذا قيمة يرجع البصر راضياً.  
(أهبة) جمع إهاب وهو الجلد الذي لم يدبغ.  
(في شك) من أنه ادخر لنا النعيم في الآخرة.  
(من أجل ذلك الحديث) كان اعتزاله بسبب إفشاء ذلك الحديث.  
(أفشته) أذاعته ونشرته. (موجدته) شدة غضبه  
(آية التخيير) وهي قوله تعالى {يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعنن وأسرحنن سراحاً جميلاً. وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً}. / الأحزاب 28 - 29 ./  
(أمتعنن) أعطين شيئاً من المال تتنتفعن به ويكون لكن بلغة بعد ذهاب نفقة الزوج.  
(أسرحنن) أطلقكن.  
(جميلاً) لا إضرار فيه.  
(المحسنات) اللاتي آثرن الباقية على الفانية.  
(تستأمري) تستشيرني]

وَأَفَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ،  
1- لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى

فَنَزَلَتْ: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة: 125]

2- وَ آيَةُ الْحِجَابِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ،  
فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ،

3- وَ اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ:

عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ " ( )

العودة

أسباب نزول الآية 5 في صحيح مسلم العودة  
(1479) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ،  
قَالَ: لَمَّا اعْتَزَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ،

---

(وافقت ربي في ثلاث) أي وافقني ربي فأنزل القرآن على وفق ما رأيت.

(آية الحجاب) وهي قوله تعالى {يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك} / الأحزاب 59 /  
(البر والفاجر) التقي والفاسق.

(هذه الآية) وهي قوله تعالى {عسى ربكما إن طلقكن أن يبدله} / التحريم 5 /

قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا النَّاسُ يَذْكُرُونَ بِالْحَصَى، وَيَقُولُونَ:  
 طَلَّقَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِالْحِجَابِ،  
 فَقَالَ عُمَرُ، فَقُلْتُ: لِأَعْلَمَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ،  
 فَقُلْتُ: يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكَ أَنْ تُؤْذِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،  
 فَقَالَتْ: مَا لِي وَمَا لَكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، عَلَيْكَ بِعَيْبَتِكَ، قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَى  
 حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ، فَقُلْتُ لَهَا: يَا حَفْصَةَ،  
 أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكَ أَنْ تُؤْذِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟  
 وَاللَّهِ، لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، لَا يُحِبُّكَ،  
 وَ لَوْلَا أَنَا لَطَلَّقَكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَبَكَتْ أَشَدَّ الْبُكَاءِ، فَقُلْتُ لَهَا:  
 أَيْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ:

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَاعِدًا عَلَى أَسْهُةِ الْمَشْرَبَةِ،  
 مُدَلِّ رِجْلَيْهِ عَلَى تَقِيرٍ مِنْ خَشَبٍ - وَهُوَ جِذْعٌ يَرْقَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ  
 ﷺ وَيَنْحَدِرُ - فَتَادَيْتُ: يَا رَبَّاحُ، اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،  
 فَتَنَظَرَ رَبَّاحٌ إِلَى الْغُرْفَةِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ، فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا،  
 ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَبَّاحُ، اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،  
 فَتَنَظَرَ رَبَّاحٌ إِلَى الْغُرْفَةِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ، فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ رَفَعْتُ صَوْتِي،  
 فَقُلْتُ: يَا رَبَّاحُ، اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،  
 فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ظَنَّ أَنِّي جِئْتُ مِنْ أَجْلِ حَفْصَةَ،  
 وَاللَّهِ، لَئِنْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِضَرْبِ عُنُقِهَا، لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهَا،  
 وَ رَفَعْتُ صَوْتِي، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ أَنْ ارْقَهُ،  
 فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَ هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ،

فَجَلَسْتُ، فَأَذَنِي عَلَيْهِ إِزَارُهُ وَ لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ،  
وَ إِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَرَ فِي جَنْبِهِ، فَنَظَرْتُ بِبَصْرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،  
فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ،  
وَ مِثْلَهَا قَرَضًا فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ،  
وَ إِذَا أَفِيقُ مُعَلَّقٌ، قَالَ: فَأَبْتَدَرْتُ عَيْنَيَّ،  
قَالَ: «مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَابِ»  
قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ،

وَ مَا لِي لَا أَبْكِي وَ هَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَرَ فِي جَنْبِكَ،  
وَ هَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى،  
وَ ذَاكَ قَيْصَرٌ وَ كِسْرَى فِي الشَّمَارِ وَ الْأَنْهَارِ،  
وَ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَ صَفَوْتُهُ، وَ هَذِهِ خِزَانَتُكَ،  
فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَابِ، أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةَ وَ لَهُمُ الدُّنْيَا؟»،  
قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: وَ دَخَلْتُ عَلَيْهِ حِينَ دَخَلْتُ، وَ أَنَا أَرَى فِي وَجْهِهِ الْغَضَبَ،  
فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ؟  
فَإِنْ كُنتَ طَلَّقْتَهُنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَكَ، وَ مَلَائِكَتُهُ، وَ جِبْرِيلُ، وَ مِيكَائِيلُ،  
وَ أَنَا، وَ أَبُو بَكْرٍ، وَ الْمُؤْمِنُونَ مَعَكَ،  
وَ قَلَّمَا تَكَلَّمْتُ وَ أَحَمَدُ اللَّهُ بِكَلَامِ،  
إِلَّا رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ يُصَدِّقُ قَوْلِي الَّذِي أَقُولُ،  
وَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ آيَةُ التَّخْيِيرِ:

{عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ} [التحریم: 5]

{وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ

ذَلِكَ ظَهِيرٌ} [التحریم: 4]

وَ كَانَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَ حَفْصَةُ تَظَاهَرَانِ عَلَى سَائِرِ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ،  
فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَطَلَّقْتَهُنَّ؟

قَالَ: «لَا».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

إِنِّي دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَ الْمُسْلِمُونَ يَذْكُرُونَ بِالْحَصَى،

يَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ، أَفَأَنْزِلُ،

فَأُخْرِهُمُ أَنَّكَ لَمْ تُطَلِّقِيَهُنَّ،

قَالَ: «نَعَمْ، إِنْ شِئْتَ».

فَلَمْ أَزَلْ أُحَدِّثُهُ حَتَّى تَحَسَّرَ الْغَضَبُ عَنْ وَجْهِهِ،

وَ حَتَّى مَنَعَرَ فَضْحَكَ، وَ كَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثَغْرًا،

ثُمَّ نَزَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، وَ نَزَلْتُ، فَنَزَلْتُ أَتَشَبَّثُ بِالْجِدْعِ،

وَ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّمَا يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا يَمَسُّهُ بِيَدِهِ،

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كُنتَ فِي الْعُرْفَةِ تِسْعَةَ وَعِشْرِينَ،

قَالَ: «إِنَّ الشَّهْرَ يَكُونُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ»

فَقُمْتُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ،

فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي،

لَمْ يُطَلِّقْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ،

وَ نَزَلْتُ هَذِهِ الْآيَةَ: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ

إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} [النساء: 83]

فَكُنتُ أَنَا اسْتَنْبَطْتُ ذَلِكَ الْأَمْرَ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آيَةَ التَّخْيِيرِ ( )

(ينكتون بالحصى) أي يضربون به الأرض كغعل المهموم المفكر

---

(عليك بعيبتك) المراد عليك بوعظ بنتك حفصة قال أهل اللغة العيبة في كلام العرب وعاء يجعل الإنسان فيه أفضل ثيابه ونفيس متاعه فشبهت ابنته بها  
(خزانتها) الخزانة مكان الخزن كالمخزن وما يخزن فيه يسمى خزينة  
(المشربة) قال في الصباح بفتح الميم والراء الموضع الذي يشرب منه الناس وبضم الراء وفتحها  
الغرفة

(أسكفة) هي عتبة الباب السفلي

(مدل رجله) أي مرسلهما

(نقير) أي على شيء من خشب نقر وسطه حتى يكون كالدرجة قال النووي هذا هو الصحيح  
الموجود في جميع النسخ وذكر القاضي أنه بالفاء بدل النون وهو فقير بمعنى مفقور مأخوذ من  
فقار الظهر وهو جذع فيه درج

(أن أرقه) أي أشار إلي رباح بالصعود إلى المشربة بواسطة ذلك الجذع المنقور كالسلم  
ف (أن) تفسيرية و

(ارقه) أمر من الرقي والهاء في آخره للسكت وفي الكلام حذف تقديره فرقت فدخلت (قرظا)  
القرظ ورق السلم يدبغ به

(أفيق) هو الجلد الذي لم يتم دباغه وجمعه أفق كأديم وأدم وقد أفق أديمه بأفقه  
(فابتدرت عيناي) أي لم أتمالك أن بكيت حتى سالت دموعي

(تحسر الغضب) أي زال وانكشف

(كشر) أي أبدي أسنانه تبسما ويقال أيضا في الغضب قال ابن السكيت كشر وبسم وابتسم  
وافتر كله بمعنى واحد فإن زاد قيل قهقهه وزهزق وكركر

(أتشبث) أي مستمسكا بذلك الجذع الذي هو كالسلم للغرفة

(يستنبطونه) قال الزمخشري في الكشف أي الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربتهم  
والنبط الماء يخرج من البئر أول ما تحفر وإنباطه واستنباطه إخراجه واستخراجه فاستعير لما  
يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم]

---

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ  
وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا  
مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا رَبَّنَا آتِمْنَا عَلَىٰ  
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدَ الْكُفْرَانَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ

وَمَا وَدَّعَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيدُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتَ نُوحٍ  
وَأَمْرَاتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا  
مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ  
ءَامَنُوا أَمْرَاتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ  
وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا  
فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا كِتَابٌ مِّنَ الْكُتُبِ ﴿١٢﴾

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ  
سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ  
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِمْنَا  
لَنَا نُورَنَا وَأَعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾

## بَيِّنَاتُ الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا

قد أمر الله بالتوبة النصوح في هذه الآية،

و المراد بها: التوبة العامة الشاملة للذنوب كلها، التي عقدها العبد لله،

لا يريد بها إلا وجهه و القرب منه، و يستمر عليها في جميع أحواله.

\*\*\*تَوْبَةً صَادِقَةً جَازِمَةً، تَمْحُو مَا قَبَلَهَا مِنَ السَّيِّئَاتِ  
وَ تَلْمُ شَعَثَ التَّائِبِ وَ تَجْمَعُهُ، وَ تَكْفُهُ عَمَّا كَانَ يَتَعَاطَاهُ مِنَ الدَّنَائَاتِ.  
قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: عَنِ النَّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ يَخْطُبُ:  
سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَقُولُ:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا }

قَالَ: يُذْنِبُ الذَّنْبَ ثُمَّ لَا يَرْجِعُ فِيهِ.

وَ لِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: التَّوْبَةُ النَّصُوحُ هُوَ أَنْ:-

- 1- يُقْلَعُ عَنِ الذَّنْبِ فِي الْحَاضِرِ،
- 2- وَ يَنْدَمُ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُ فِي الْمَاضِي،
- 3- وَ يَعِزُّ عَلَى أَلَّا يَفْعَلَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.
- 4- ثُمَّ إِنْ كَانَ الْحَقُّ لِأَدَمِيٍّ رَدَّهُ إِلَيْهِ بِطَرِيقِهِ.

مصنف ابن أبي شيبة - 27751

عَنِ ابْنِ مَعْقِلٍ، قَالَ لَهُ: أَسَمِعْتَ أَبَاكَ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ، يَقُولُ:

سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: " التَّوْبَةُ نَدَمٌ قَالَ: نَعَمْ "

وَ قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: عَنِ الْحَسَنِ يَقُولُ: التَّوْبَةُ النَّصُوحُ:  
أَنْ تُبْغِضَ الذَّنْبَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ، وَ تَسْتَغْفِرَ مِنْهُ إِذَا ذَكَرْتَهُ.  
فَأَمَّا إِذَا حَزَمَ بِالتَّوْبَةِ وَ صَمِمَ عَلَيْهَا فَإِنَّهَا تَجِبُ مَا قَبَلَهَا مِنَ الْخَطِيئَاتِ،

كَمَا ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحِ:

مسند أحمد ط الرسالة - 17827

عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، قَالَ: لَمَّا أَلْقَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَلْبِي الْإِسْلَامَ،  
قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ لِيُبَايَعَنِي، فَبَسَطَ يَدَهُ إِلَيَّ، فَقُلْتُ:  
لَا أُبَايِعُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى تَغْفِرَ لِي مَا نَقَدَمَ مِنْ ذَنْبِي، قَالَ:  
فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا عَمْرُو

أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْهَجْرَةَ تَجِبُ مَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، يَا عَمْرُو  
أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ مَا كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الذُّنُوبِ.

\*\*\* وَ هَلْ مِنْ شَرْطِ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ الْاسْتِمْرَارُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْمَمَاتِ

كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ

وَ فِي الْأَثَرِ: "لَا يَعُودُ فِيهِ أَبَدًا"

أَوْ يَكْفِي الْعَزْمُ عَلَى أَلَّا يَعُودَ فِي تَكْفِيرِ الْمَاضِي، بَحِثْ لَوْ وَقَعَ مِنْهُ  
ذَلِكَ الذَّنْبُ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ ضَارًّا فِي تَهْيِيرِ مَا تَقَدَّمَ،  
لِعُمُومِ قَوْلِهِ، ﷺ: "التَّوْبَةُ تَجِبُ مَا قَبْلَهَا؟".

وَ لِلأَوَّلِ أَنْ يَحْتَجَّ بِمَا ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحِ أَيْضًا: فِي

صحيح البخاري عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْوَاحُ مَا عَمَلْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ:

«مَنْ أَحْسَنَ فِي الْإِسْلَامِ لَمْ يُؤَاخِذْ بِمَا عَمِلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ،

وَ مَنْ أَسَاءَ فِي الْإِسْلَامِ أُخِذَ بِالأَوَّلِ وَ الآخِرِ

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ أَقْوَى مِنَ التَّوْبَةِ،

فَالتَّوْبَةُ بِطَرِيقِ الأَوَّلِي، وَاللَّهُ أَعْلَمُ

(عَسَى)

\*\*\* من الله موجبة

**(رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ)**

و وعد عليها بتكفير السيئات، و دخول الجنات، و الفوز و الفلاح،

**(يَوْمَ لَا يُخْزِي)**

\*بإدخالهم النار: أيسر التفاسير

**(اللَّهُ النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ**

\*\*\* راجع سورة الحديد

○ حين يسعى المؤمنون يوم القيامة بنور إيمانهم، و يمشون بضياءه،

و يتمتعون بروحه و راحته، و يشفقون إذا طفئت الأنوار، التي تعطى المنافقين،

\*\*\* هَذَا يَقُولُهُ الْمُؤْمِنُونَ حِينَ يَرَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نِوْرَ الْمُنَافِقِينَ قَدْ طَفِئَ.

**(رَبَّنَا آتِنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا)**

و يسألون الله أن يتم لهم نورهم فيستجيب الله دعوتهم،

و يوصلهم ما معهم من النور و اليقين، إلى جنات النعيم، و جوار الرب الكريم،

و كل هذا من آثار التوبة النصوح.

**(إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرْ

الْمَصِيرُ ﴿١﴾

(يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ)

يأمر الله تعالى نبيه ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين،

(جَهْدِ الْكُفَّارَ)

\*الميسر: جاهد الذين أظهروا الكفر و أعلنوه، و قاتلهم بالسيف،

(وَالْمُنَافِقِينَ)

\*الميسر: و جاهد الذين أبطنوا الكفر

و أخفوه بالحجة

و إقامة الحدود و شعائر الدين،

(وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ)

\*و استعمل مع الفريقين الشدة و الخشونة في جهادهما: الميسر

○ و الإغلاظ عليهم في ذلك،

و هذا شامل لجهادهم:-

1- إقامة الحججة عليهم

2- و دعوتهم بالموعظة الحسنة ،

3- و إبطال ما هم عليه من أنواع الضلال،

4- و جهادهم بالسلاح و القتال لمن أبى أن يجيب دعوة الله و ينقاد لحكمه،

فإن هذا يجاهد و يغلظ له،

و أما المرتبة الأولى، فتكون بالتي هي أحسن،

**(وَمَا أَوْلَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ)**

فالكفار و المنافقون لهم عذاب في الدنيا،

بتسليط الله لرسوله و حزه عليهم و على جهادهم وقتالهم،

وعذاب النار في الآخرة وئس المصير، الذي يصير إليها كل شقي خاسر.

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ  
عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ  
ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ  
فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ  
وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا  
فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِ

﴿١٢﴾

هذان المثالان اللذان ضربهما الله للمؤمنين والكافرين، ليبين لهم:-

1- أن اتصال الكافر بالمؤمن و قربه منه لا يفيد شئاً،

2- و أن اتصال المؤمن بالكافر لا يضره شيئاً مع قيامه بالواجب عليه.  
فكأن في ذلك إشارة و تحذيراً لزوجات النبي ﷺ عن المعصية،  
و أن اتصالهن به ﷺ، لا ينفعهن شيئاً مع الإساءة، فقال:

( **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَاتَ نُوحٍ وَامْرَأَاتَ لُوطٍ** )

أي: المرأتان

( **كَانَتَا تَحْتِ عِبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ** )

و هما نوح، و لوط عليهما السلام.

\*\*\* نَبِيَّيْنِ رَسُولَيْنِ عِنْدَهُمَا فِي صُحْبَتِهَا لَيْلًا وَ نَهَارًا يُؤَاكِلَانِهِمَا وَ يُصَاحِبَانِهِمَا  
وَ يُعَاشِرَانِهِمَا أَشَدَّ الْعِشْرَةِ وَ الْإِخْتِلَاطِ

( **فَخَانَتَاهُمَا** )

في الدين، بأن كانتا على غير دين زوجيهما،

و هذا هو المراد بالخيانة

لا خيانة النسب و الفراش، فإنه ما بغت امرأة نبي قط،

و ما كان الله ليجعل امرأة أحد من أنبيائه بغياً،

\*\*\* مَا زَنَّتَا، أَمَا امْرَأَةٌ نُوحٍ فَكَانَتْ تُخْبِرُ أَنَّهُ مَجْنُونٌ،  
وَ أَمَا خِيَانَةُ امْرَأَةِ لُوطٍ فَكَانَتْ تَدُلُّ قَوْمَهَا عَلَى أَضْيَافِهِ.

وَ قَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:

كَانَتْ خِيَانَتُهُمَا أَنَّهُمَا كَانَتَا عَلَى عَوْرَتَيْهِمَا:-

-فَكَانَتْ امْرَأَةُ نُوحٍ تَطَّلِعُ عَلَى سِرِّ نُوحٍ،

فَإِذَا آمَنَ مَعَ نُوحٍ أَحَدٌ أَخْبَرَتِ الْجَبَابِرَةَ مَنْ قَوْمِ نُوحٍ بِهِ،  
-وَأَمَّا امْرَأَةٌ لُوطٍ فَكَانَتْ إِذَا أَضَافَ لُوطٌ أَحَدًا أَخْبَرَتْ بِهِ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِمَّنْ  
يَعْمَلُ السُّوءَ.

(فَلَمْ يُعْنِيَا)

أي: نوح و لوط

(عَنْهُمَا)

أي: عن امرأتيهما

(مَنْ اللَّهُ شَيْئًا وَقِيلَ)

لهما

(أَدْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ)

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ)

و هي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها

\*\*\* وَ هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ لَا تَضُرُّهُمْ مُخَالَطَةُ الْكَافِرِينَ

إِذَا كَانُوا مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ

مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} [آلِ عِمْرَانَ: 28].

قَالَ: فَتَادَهُ كَانَ فِرْعَوْنُ أَعْتَى أَهْلَ الْأَرْضِ وَ أَبْعَدَهُ

فَوَاللَّهِ مَا ضَرَّ امْرَأَتَهُ كُفْرَ زَوْجِهَا حِينَ أَطَاعَتْ رَبَّهَا

لِتَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ حَكَمٌ عَدْلٌ، لَا يُؤَاخِذُ أَحَدًا إِلَّا بِذَنْبِهِ.

**(إِذْ قَالَتْ رَبِّ أَيْنَ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ)**

فوصفها الله بالإيمان و التضرع لربها، و سؤالها لربها أجل المطالب،  
و هو دخول الجنة، و مجاورة الرب الكريم،

**(وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ)**

\*الجزائري: و أنقذني من سلطان فرعون و فتنته

**وَعَمَلِهِ**

\*الجزائري: و مما يصدر عنه من أعمال الشر

**(وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)**

\*الجزائري: و أنقذني من القوم التابعين له في الظلم و الضلال  
و من عذابهم

-وسؤالها أن ينجيها الله من فتنة فرعون و أعماله الخبيثة،  
و من فتنة كل ظالم، فاستجاب الله لها،

فعاثت في إيمان كامل، و ثبات تام، و نجاة من الفتن،

و لهذا قال النبي ﷺ:

( كمل من الرجال كثير، و لم يكمل من النساء، إلا مريم بنت عمران،

و آسية بنت مزاحم، و خديجة بنت خويلد،

و فضل عائشة على النساء، كفضل الشريد على سائر الطعام ) .

و قوله ( **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا** )

أي: صانته و حفظته عن الفاحشة، لكمال ديانتها، و عفتها، و نزاهتها.  
\*\*وَ الْإِحْصَانُ: هُوَ الْعَفَافُ وَ الْحُرِّيَّةُ،

**(فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا)**

بأن نفخ جبريل عليه السلام في جيب درعها  
فوصلت نفخته إلى مريم، فجاء منها عيسى ابن مريم عليه السلام  
الرسول الكريم و السيد العظيم.

**(وَ صَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَ كُتِبَ لَهَا)**

و هذا وصف لها بالعلم و المعرفة،  
فإن التصديق بكلمات الله، يشمل كلماته الدينية و القدرية،  
و التصديق بكتبه، يقتضي معرفة ما به يحصل التصديق،  
و لا يكون ذلك إلا بالعلم و العمل،

**(وَ كَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ)**

أي: المطيعين لله، المداومين على طاعته بخشية و خشوع،  
و هذا وصف لها بكمال العمل، فإنها رضي الله عنها صديقة،  
و الصديقة: هي كمال العلم و العمل.

\*\*مسند أحمد ط الرسالة - 2668

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ،  
قَالَ: تَدْرُونَ مَا هَذَا؟  
فَقَالُوا: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ.

- فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:  
أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ:  
1- خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ،  
2- وَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ،  
3- وَ آسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ أَمْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ،  
4- وَ مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ "
- 

#### مشكاة المصابيح

وَعَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:  
« هَلْ مِنْ الرِّجَالِ كَثِيرٌ  
وَ لَمْ يَكُنْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ  
وَ آسِيَةُ أَمْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ  
وَ فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ هَضْلُ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ